

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي
عفا الله عنه







ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم



رقم الإيداع
٢٠٠٧/١٦٥٤٢

الترقيم الدولي
977/331/435/9

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٧، ١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠ - ٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستَعينُهُ، ونستَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، وسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لَه، وأَشْهَدُ أنْ لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدهُ ورَسُولَهُ.

أمَّا بَعْدُ،

فَمَا مِنْ شَكٍّ أنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلُحَ الجَسدُ كُلُّهُ وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ألاَ وَهيَ القَلْبُ.

فإنَّ في القَلْبِ شَيئًا يَصْلُحُ القَلْبُ بِصَلاحِهِ، ويَفْسدُ

بفسَاده أَلا وهو الإخْلاصُ؛ فالإخْلاصُ «مَلك القُلوب» ومَاءُ حَيَاته ومَدَارُ الفلاحِ كُلّه عَلَيْه، بل هُوَ حَقيقَةُ الدِّينِ، ومِفْتَاحُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ، ورُوحُ الْعَمَل، وقَائدُهُ وسائقُهُ، والْعَمَلُ تبعٌ لَهُ، به يَحْصُلُ التَّوْفيقُ، وبِضدِّه يَحْصُلُ الخُذْلان، وبحسْبه تتَفَاوَتُ الدَّرَجَات.

وَقَدْ بَدَا لي أَنْ أَكْتُبَ في هَذَا المَوْضُوع لأَهَمِّيَّتِه؛ ولأنَّهُ ما أُوتيَ كَثيرٌ منَ النَّاسِ إلاَّ منْ تَقْصيرِهِمْ في الإخْلاصِ تَعَلُّمًا وعَمَلاً، ولا أَزْعُمُ خُلو هذا الجُهْد منْ أيّ نَقْصٍ أو تَقْصيرٍ، بَلْ أَقُولُ: ذَلكَ جُهدُ المُقلّ، فإنْ يَكُ صَوَابًا فَمنَ الله، وإنْ يَكُ خَطَأً فَمنِّي وَمنَ الشَّيْطَان، والله – عَزَّ وجَلَّ – ورَسُولُهُ بَريئَان»[1].

---

(١) هذا مَا قَاله عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أثناء جَوابه على استفتاء. انظر المسند رقم (٤٢٧٦) (٦/١٢٧)، وصحح إسناده أحمد شاكر – رحمه الله –. انظر تعليقه على المسند (٦/١٣٧).

وَأَسْأَلُ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالنا كُلّها خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الكَرِيم، ويَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا يَوْمَ الدِّينِ.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

وكتبه

أبو عبد الله

فيصل بن عبده قائد الحاشدي

تعريفُ الإخْلاصِ

تعريفُ الإخْلاص في اللُّغَة:

هُوَ تَخْليصُ القَلْب عَنْ شَائبَة الشَّوب المُكدِّرُ لصَفَائه، وتَحْقيقه: أيْ كُلُّ شَيْءٍ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَشُوبَهُ غَيْرُهُ، فإذا صَفَا عَنْ شَوبه وَخَلُصَ عنه يُسَمَّىٰ خَالصًا»[1].

وفي التَّنْزيل: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦)﴾ [النَّحل: ٦٦].

فَهَذَ اللَّبَنُ خَالصٌ صَافي غَيْرُ مُخْتَلطٌ بشَيْءٍ منَ الدَّم والْفَرْث، فَيَخْرُجُ هَذَا اللَّبَنُ الخَالصُ الصَّافيُّ بقُدْرَة الله – سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ – فَسَمَّاهُ اللهُ وَوَصَفَهُ بأَنَّهُ: خَالصٌ.

(١) «التعريفات» للجرجاني (١٣).

الإخْلاصُ في الشَّرْعِ:

تَعَدَّدَتْ فيه أَقْوَالُ أَهْلُ العِلْمِ في تَعْرِيفِهِ الشَّرْعيّ

فـمِنْهُمْ مَنْ قَـالَ: « تَخْلِيصُ القَلْبِ مِنْ كُلِّ شـوبٍ يُكَدِّرُ صَفَاءَهُ »(١).

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: « أَنْ يَكُونَ الدَّاعي إِلَىٰ الإِتْيَان بالمأْمُورِ، وإِلَىٰ تَرْكِ المَنْهي إِرْضَاء الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – »(٢).

وَمِنْهُمْ مَنْ قَـالَ: « الإِخْـلاصُ: ألاَّ تَطْلُبَ لِعَـمَلِكَ شَاهِداً غَيْرَ الله – تَعَالَىٰ – »(٣).

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: « الإِخْلاصُ هو تَصْفِيةُ العَمَل بِصَالِحِ النِّيَّةِ عَنْ جَمِيعِ شَوَائِبِ الشِّرْكِ »(٤).

---

(١) « التوقيف علىٰ مُهمَات التعريف » للمناوي (٤٣).

(٢) « التحرير والتَّنْوير » لابن عاشور (٢٣ / ٣١٨).

(٣) التعريفات للجرجاني » (١٣ – ١٤).

(٤) « معارجُ القبول » للحكمي (١ / ٣٨٢).

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: « إِفْرَادُ الحَقِّ – سُبْحَانَهُ – في الطَّاعَةِ بالقَصْدِ »[١].

وكُلُّ هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ مُتَقَارِبات بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ.

(١) « الرسالة القشيرية » (٢/٤٤٣).

منزلةُ الإخْلاص في الكتَاب والسُّنَّة

أوَّلاً - القُرآنُ الكَريم:

العِبَادَةُ كُلّهَا دقُّهَا وجُلُّها مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ أمْرَيْنِ أَسَاسِينِ هُمَا الإِخْلاصُ والمُتَابَعَةُ .

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ [الزُّمر : ٢ ، ٣] .

قَالَ ابنُ العَرَبيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - : « أَمَرَ اللهُ عِبَادَهُ بِعِبَادَتِه ، وَهُوَ أدَاءُ الطَّاعَةِ لَهُ بِصِفَةِ القُرْبَة ، وذَلكَ بإِخْلاصِ النِّيَّة بتَجْرِيد العَمَل عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إلاَّ لِوَجْهِه ، وذَلكَ هُوَ الإِخْلاصُ »(١) .

---

(١) « أحكام القرآن » لابن العربي (٤ / ٤٣٧) .

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)﴾

[الأنعام: ١٦٢].

قَالَ السَّعْدِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «العِبَادَاتُ كُلُّهَا سَوَاءٌ كَانَتْ بَاطِنَةً كَمَحَبَّةِ اللهِ وَتَعْظِيمِ مَا عَظَّمَهُ؛ أو مَا كَانَتْ ظَاهِرَةً؛ كَالقِيَامِ بالشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ، وسَوَاءٌ تَعَلَّقَتْ بِحُقُوقِ اللهِ المَحْضَةِ أَو تَعَلَّقَتْ بِحُقوقِ الخَلْقِ. كُلُّ ذَلِكَ لابُدَّ فيه مِنَ الإِخْلاصِ للهِ والمُتَابَعَةُ لِرَسُولِ اللهِ - ﷺ -؛ فَمَنْ جَمَعَ اللهُ لَهُ الأَصْلَيْنِ أَفْلَحَ وسَعِدَ، وَمَنْ فَاتَهُ الأَمْرَانُ أَوْ أَحَدٌ مِنْهُمَا خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا؛ فلا أَنْفَعُ للعَبْدِ مِنْ جَعْلِ الإِخْلاصِ والمُتَابَعة نُصْبَ عَيْنَيْه في كُلِّ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ الإِخْلاصُ لَهُ نَعْتًا، والمُتَابَعَةُ لَهُ وَصْفًا، وتَضْمَحِلُّ عَنْ قَلْبِهِ جَمِيعُ المَقَاصِدِ والأَغْرَاضِ المُنَافِيَةِ للإِخْلاصِ»[١].

---

(١) «مجموع الفوائد واقتناص الأوابد» للسّعديّ (١٧).

وَقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي (١٤) ﴾ [الزمر: ١٤].

وَقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾ [البينة: ٥].

قَالَ السَّعديُّ – رَحِمَهُ اللهُ –: « فَأَخْبَرَ أَنَّ صَلاحَ الأَعْمَالِ وفسادها بالنِّيَّات، وأَنَّهُ يَحصلُ للعَبْدِ مِنَ الثَّمَرَاتِ والنَّتَائِجِ بحَسَبِ نيَّته؛ وَمَعْلومٌ أنَّ جَميع العبَادَات لا تصحُّ إلاَّ بالنِّيَّة، ثُمَّ لابُدَّ مَعَ ذَلكَ أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ منْهَا وَجْهَ الله وثوابَهُ، ومَقْصُودُهُ بهَا وَجْهَ الله، والتَّقَرُّبَ إليْه، وَطَلَبُ رضَاهُ، واحْتسَابُ ثَوَابه، والقيَامُ بمَا فَرَضَهُ وأَحَبَّهُ اللهُ لعَبْده »[1].

وَقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢].

---

(١) « الرياض الناظرة » للسَّعديِّ (٢٢١).

قَالَ الفُضيلُ بنُ عِياض: هو أخْلصُهُ وأَصْوَبُهُ. قالوا: يا أبا عليّ، ما أَخْلَصه وأَصْوَبُهُ؟.

فقَالَ: «إنَّ العَمَلَ إذَا كَانَ خَالصًا ولَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وإذا كَانَ صَوَابًا ولَمْ يَكُنْ خَالِصًا لم يُقْبَلْ، حَتَّىٰ يَكونَ خَالصًا صَوَابًا.

والخَالصُ أَنْ يَكُونَ لله، والصَّوابُ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ السُّنَّة، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)** ﴾ [الكهف: ١١٠]»[١].

قَالَ السَّعديّ - رَحِمَهُ اللهُ - في مَعْنَى الآيَة: «أي لا يُرائي بعَمَله، بَلْ يَعْمَلْهُ خَالِصًا لوَجْه الله - تَعَالَىٰ - ، فَهَذَا الَّذي جَمَعَ بَيْنَ الإخْلاص والمُتَابَعَة، هوَ الَّذي ينَالُ

(١) «حِلْيَةُ الأوْلِيَاء» (٨/ ٩٥)، و«تفسير البغويّ» (٨/ ١٧٦)، و«جامعُ العلوم والحكم» (١/ ٧٢).

ما يَرْجو وَيَطْلُب، وأمَّا مَنْ عَدَا ذلك، فإنَّهُ خَاسِرٌ في دُنْياهُ، وأُخْرَاهُ، وقَدْ فَاتَهُ القُرْبُ مِنْ مَوْلاهُ، ونَيْلُ رِضَاهُ»[١].

وَقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾ [النِّساء: ١٢٥].

قَالَ ابْنُ القَيِّم – رحِمَهُ اللهُ –: «فَإِسْلامُ الْوَجْهِ: إِخْلاصُ القَصْدِ والعَمَلِ لله، والإِحْسَانُ فيه: مُتَابَعَةُ رَسُولِ اللهِ – ﷺ – وسُنَّته»[٢].

وَقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣)** ﴾ [الفرقان: ٢٣].

قَالَ ابنُ القَيِّم – رَحِمَهُ اللهُ –: «وهي الأَعْمَالُ الَّتي كَانَتْ عَلَىٰ غَيْرِ السُّنَّةِ، أوْ أُرِيدَ بِهَا غَيْرُ وجْهِ اللهِ»[٣].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» للسّعديّ (٣/١٩٠).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/٣١٠).

(٣) المرجع السابق (٢/٢١١).

ثانيًا - السُّنَّة الصَّحيحة:

الأَدلَّةُ مِنَ السُّنَّة عَلَىٰ مَنْزِلَة الإِخْلاص أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحصرَ، وسَوفَ أَكْتَفي بِحَديثٍ وَاحدٍ عَلَيْه مَدارُ الدِّينِ كَمَا ذَكَر ذَلكَ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ.

عَنْ عُمَر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّات، وإِنَّما لكُلِّ امْرِيءٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ الله وَرَسُوله؛ فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ الله وَرَسُوله، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْه**»(١).

وهَذَا الحَديثُ يُبَيِّنُ مَنْزِلَةَ الإِخْلاص مِنَ الدِّين، فَهُوَ مِنَ الأَحَاديث الَّتي يَدُورُ الدِّينُ عَلَيْهَا، كَمَا ذَكَرَ ذَلكَ ابنُ رَجَب - رَحِمَهُ اللهُ - »(٢).

---

(١) رواه البُخاريُّ (٥٤)، ومُسْلمٌ (١٩٠٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٩).

وفيما يأتي كلامُ العُلَمَاء عَنْ هَذا الحديث:

قَالَ الشَّافِعيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «هَذا الحديثُ ثُلُثُ العِلْمِ[١]، ويَدْخُلُ في سَبْعينَ بَابًا مِنَ الفِقْهِ»[٢].

وَقَالَ الإمَامُ أَحْمَدُ - رحِمَهُ اللهُ -: «أُصُولُ الإسْلامِ عَلَىٰ ثَلاثَة أَحَاديث: حَديث عُمَرَ بْنُ الخَطَّاب - رضي الله عنه -: «**إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّات**»، وحَديث عَائشَةَ: «**مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»، وحَديث النُّعْمَانُ ابْنُ بَشيرٍ: «**الحَلالُ بَيِّنٌ والحَرَامُ بَيِّنٌ**»[٣].

---

(١) بل إنه رُويَ عنِ الشَّافعيّ - رحِمَهُ اللهُ - قوله: «يدخل فيه نصفُ العلم». نَقَلَ ذَلك القسطلاني في «إرشاد الساري» (١/٥٦)، وعلَّقَ عليه بقوله. ووجه ما قالهُ: «أنَّ للدين ظَاهرًا وباطنًا»، والنِّيَّةُ مُتعَلِّقَةٌ بالباطن، والعَمَلُ هو الظَّاهرُ، والنِّيَّةُ عبوديَّة القلب، والعَمَلُ عبوديَّة الجوارح».

(٢) «مناقب الشَّافعيّ» للبيهقيّ (١/٣٠٢).

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ في «طبقات الحنابلة» (١/٤٧).

وَقَــالَ الـنَّوَوِيُّ - رَحِـمَـهُ اللهُ - عَنْ هذَا الحــدِيث: « حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِه، مجمعٌ عَلَىٰ عِظَمِ مَوْقِعِه وَجَلالَتِه، وهَذا إِحْدَىٰ قَوَاعِدِ الإِيمان، وأَوَّلُ دَعَائِمِه، وآكَدُ الأَرْكَان . . وهوَ أَحَدُ الأَحَادِيث الَّتي عَلَيْهَا مَدَارُ الإِسْلام »(١) .

وَقَالَ المنَاوي - رحِمَهُ اللهُ - : « هَذا الحَدِيثُ أَصْلٌ في الإِخْلاص، ومِنْ جَوَامِعِ الْكَلِم الَّتي لا يخْرُجُ عَنْهَا عملاً أصلاً؛ ولِهذا تَوَاتَرَ النَّقْلُ عَنِ الأَعْلام بعُمُومِ نفْعِه وعِظَمِ مَوْقِعِه . قَالَ أَبُو عُبَيد : « لَيْسَ في الأَحَادِيث أَجْمَعُ ولا أَغْنَىٰ ولا أَنْفَعُ ولا أَكْثَرُ فَائِدَةً مِنْهُ »(٢) .

وقَالَ الحَافِظُ: « قَدْ تَوَاتَرَ النَّقْلُ عَنِ الأَئِمَّةِ في تَعْظِيمِ هَذا الحديث، قَالَ أَبو عبد الله (٣) : لَيْسَ في أَخْبَارِ النَّبيِّ

---

(١) « المجموع شرح المهذب » (١ / ١٦).
(٢) « فيض القدير » (١ / ٣٢).
(٣) هو الإمامُ البخاريُّ.

- ﷺ - شَيْءٌ أَجْمَعَ وَلا أَكْثَرَ فَائِدَةً مِنْ هَذَا الحَدِيث، واتَّفَقَ الشَّافِعِيُّ فِيما نقله السِّيوطيُّ عنه، وأحْمَدُ بن حنبل، وعليٌّ بن المديني، وأَبو داود، والترمذيُّ، والدارقُطْنيُّ، وحمزة الكتانيُّ، علَىٰ أنَّهُ: ثُلُثُ الإِسْلامِ»[1].

وَقَالَ المعافريُّ:

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنا كَلِمَاتٌ
أَرْبَعٌ مِنْ كَلامِ خَيْرِ البَرِيَّهْ
اتَّقِ الشُّبُهَاتَ وازْهَدْ وَدَعْ مَا
لَيْسَ يَعْنيكَ واعْمَلَنْ بنيَّهْ[2]

أخي، الأَحَاديثُ في أَهَمِيَّةِ الإِخْلاصِ ومَنْزِلَته أَكْثَرُ

---

(١) فتح الباري (١/ ١١).
(٢) شرح سنن النّسائيّ للسيوطي (٧/ ٢٤٢).

مِنْ أَنْ تُحْصَر، وإنَّمَا أَكْثَرْتُ مِنْ نَقْلِ أَقْوَالِ أَهْلِ العِلْمِ في الحَديث المُتَقَدِّمِ لأَهَمِّيَّتِه؛ ولِهَذَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ مَهْدي - رَحِمَهُ اللهُ -: لَوْ صَنَّفْتُ كِتَابًا في الأَبْوَاب؛ لجَعَلْتُ حديثَ عُمَر بن الخَطَّاب في الأَعْمَالِ بالنِّيَّاتِ في كُلِّ بَابٍ[١].

ومِنَ الأدلَّةِ الدَّالَّة عَلَىٰ مَنْزِلَةِ الإخْلاص وأَهَمِّيَّته:

حَديثُ أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقُولُ: «**قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ - أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعي فيه غَيْري تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ**»[٢].

وعَنْ أَبي أمَامَةَ - رضي الله عنه - قالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «**إنَّ اللهَ لا يقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إلاَّ مَا كَانَ خَالِصًا وابْتُغي بذَلِكَ وجْهَهُ**»[٣].

---

(١) «جَامع العُلوم والحكم» (٢٥).
(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥).
(٣) حسنٌ، رواه النَسائيُّ (٦/٢٥)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في الصحيحة (٢٥).

إلىٰ غَيْرِ ذَلكَ منَ الأَدلَّة.

وَقَدْ ذَكَرَ ابنُ تَيْمِيَّة - رَحِمَهُ اللهُ - أنَّ إخْلاصَ الدِّين هُوَ الَّذي لا يَقْبَلُ اللهُ - تَعَالَىٰ - سواهُ، وهُوَ الَّذي بَعَثَ اللهُ به الأَوَّلينَ والآخرينَ منَ الرُّسُلِ، وَأَنْزَلَ به جَميعَ الكُتُب، واتَّفقَ عَليه أئمَّةُ أَهْلِ الإيمَان، وهَذَا هُو خُلاصَةُ الدَّعْوَة النَّبَويَّة، وهو قُطْبُ القُرآنِ الَّذي تَدُورُ عَلَيْه رَحَاهُ»[1].

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - عِنْدَ ذِكْرِ حَديثِ البَغِيِّ الَّتي سَقَتْ كَلْبًا فَغَفَرَ اللهُ لَهَا ... والرَّجُلُ الَّذي أَمَاطَ الأَذَىٰ عَنِ الطَّريقِ فَغَفَرَ اللهُ لَهُ: «فهَذه سَقَت الكَلْبَ بإيمان خالصٍ كانَ في قَلْبِهَا فَغُفرَ لَهَا، وإلاَّ فَلَيْسَ كُلُّ بَغيٍ سَقَتْ كَلْبًا يُغْفَرُ لَهَا؛ فَالأَعْمَالُ تتَفَاضَلُ بتَفَاضُلِ مَا في القُلُوبِ مِنَ الإيمَانِ والإجْلالِ»[2].

---

(١) «التحفة العراقية في أعمال القلوب» لابن تيمية (٥٨).
(٢) «منهاج السُّنَّة» (٦/٢١٨)

أَقْسَامُ الرِّيَاء

الرِّيَاءُ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ أَقْسَام يَنْبَغي للمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَهَا، ويُعَرِّفَ بها؛ ليَحْصُلَ الابْتِعَادُ عَنْهَا.

وهي مَا يَأْتي:

١ - أَنْ يَكُونَ العَمَلُ رِيَاءً مَحْضًا، ولا يُرَادُ به إلاَّ مُرَاءَاةُ المَخْلُوقِينَ؛ كَحَالِ المُنَافِقِينَ في صَلاتِهِمْ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ **وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاة قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢)** ﴾ [النِّسَاء : ١٤٢]، وكَذلكَ وَصَفَ اللهُ - تَعَالَىٰ - الكُفَّارَ بالرِّيَاءِ المَحْضِ في قَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ** ﴾ [الأنفال : ٤٧].

وَهَذَا الرِّيَاءُ لا يَكَادُ يصْـدُرُ مِنْ مُـؤمنٍ في فَـرْضِ الصَّلاةِ والصِّيامِ، وَقَدْ يَصْدُرُ في الصَّدَقَةِ الوَاجِبَةِ والحَجِّ وغيرهما مِنَ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، الَّتي يتَعَدَّىٰ نَفْعُها؛ فَإِنَّ الإِخْلاصَ فيها عَزِيزٌ.

وهَذَا الْعَمَلُ لا يَشُكُّ مُسْلِمٌ أَنَّهُ حابِطٌ، وأَنَّ صَاحِبَهُ يَسْتَحِقُّ المَقْتَ مِنَ اللهِ والعُقُوبَةَ.

٢ - أَنْ يَكُونَ العَمَلُ للهِ ويُشَارِكُهُ الرِّيَاءُ مِنْ أَصْلِهِ - أي مِنْ أَوّلِه إِلَىٰ آخرِه - فَهَذَا العَمَلُ بَاطلٌ باتِّفَاقِ العُلَمَاءِ، دَلَّ علىٰ ذَلكَ النُّصوص الصَّحيحةُ، كَحَديث أَبي هُرَيْرَةَ - ﷺ - عَنِ النَّبيِّ - ﷺ - قَالَ: «**يقُولُ اللهُ - تبَارَكَ وتعَالَىٰ - : أَنا أَغْنَىٰ الشُّركاءِ عَنْ الشِّرْك، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فيه مَعي غَيْري تركْتُهُ وشِرْكَهُ**»[١].

---

(١) أخرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٩٨٥).

٣ - أَنْ يَكُونَ أَصْلُ العَمَلِ للهِ، ثُمَّ طَرَأَتْ عَلَيْهِ نِيَّةُ الرِّيَاءِ أَثْنَاءَ العِبَادَةِ.

فَهَذِهِ العِبَادَةُ لا تَخْلُو مِنْ حَالَيْنِ:

أ - أنْ لا يَرْتَبِطَ أَوَّلُ العِبَادَةِ بآخِرِهَا، فَأَوَّلُهَا صَحِيحٌ بِكُلِّ حَالٍ وَآخِرُهَا بَاطِلٌ.

مِثَالُ ذَلِكَ: إِنْسَانٌ عِنْدَهُ مائةُ رِيَال يُرِيدُ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِهَا، فتصدَّقَ بِخَمْسِينَ مِنْهَا خَالِصَةً للهِ، ثُمَّ طَرَأَ عَلَيْهِ الرِّيَاءُ في العَشْرَةِ البَاقِيَةِ؛ فالصَّدَقَةُ الأُولىٰ صَحِيحَةٌ، والثَّانِيَةُ بَاطِلَةٌ؛ لاخْتِلاطِ الرِّيَاءِ فيها بالإِخْلاصِ.

ب - أَنْ يَرْتَبِطَ أَوَّلُ العِبَادَةُ بآخِرِهَا، فلا يَخْلو الإِنْسَانُ حِينَئِذٍ مِنْ أَمْرَيْنِ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ - أنْ يَكُونَ هَذَا الرِّيَاءُ خَاطِرًا، ثُمَّ دَفَعَهُ الإِنْسانُ، ولَمْ يَسْكُنْ إِلَيْهِ، وأَعْرَضَ عَنْهُ وكَرِهَهُ؛ فإِنَّهُ لا

يضُرُّه بغَيْرِ خلاف؛ لحَديث أَبي هُرَيْرَة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «**إنَّ اللهَ تجَاوزَ لي عَنْ أُمَّتي ما وَسْوَسَتْ به صُدُورُها ما لَمْ تَعْمَلْ أَوْ يعمَلُوا به**»[١].

الأَمْرُ الثَّاني - أَنْ يَسْتَرْسِلَ مَعَ الرِّيَاء ويَطْمَئِنَّ إلَيْه، ولا يدافعه ويحبه؛ فَتَبْطلُ جَميعُ العبادة علَىٰ الصَّحيح؛ لأَنَّ أوَّلَها مُرتبطٌ بآخرِهَا، مثَالُ ذَلكَ مَن ابْتَدَأَ الصَّلاةَ مُخْلصًا بهَا لله - تَعَالَىٰ - ثُمَّ طَرَأَ عَلَيْه الرِّيَاءُ في الرَّكْعَة الثَّانيَة واسْتَرْسَلَ مَعَهُ إلَىٰ نهايَة صَلاته، ولم يُدافعْهُ؛ فَتَبْطُلُ الصَّلاةُ كُلُّها؛ لارتبَاط أَوَّلهَا بآخرِهَا[٢].

٤ - أن يكونَ الرِّيَاءُ بَعْدَ الانتهاء منَ العبَادة:

فأَمَّا إذَا عَملَ العَمَلَ لله خالصًا، ثُمَّ أَلْقَىٰ اللهُ لَهُ الثَّنَاءَ

---

(١) رواه البخاري (٢٥٢٨)، ومسلم (١٢٧).

(٢) انظر جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩ - ٨٤)، وفتح المجيد (٤٣٨)، وفتاوى ابن عثيمين (٢/ ٢٠٧)، وانظر - أيضًا - نور الهدىٰ للقحطاني (١٣٧، ١٣٨).

الحَسَنَ في قُلُوبِ المُؤمنينَ بذَلكَ، بفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، واسْتَبْشَرَ بذَلكَ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلكَ، وفي هَذَا المَعْنَىٰ جَاءَ حَديثُ أَبي ذَرٍ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَعْمَلُ العَمَلَ لله مِنَ الخَيْرِ يَحْمدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ فقَالَ: «**تلْكَ عَاجِلُ بُشْرَىٰ المُؤمنُ**»[١].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٢).

أنواعُ الرِّياء

أنْواعُ الرِّياءِ كثيرةٌ، وسوفَ أذْكُرُ طرفًا منْها:

١ - أن يَكُونَ مُرادُ العَبْدِ غيرَ الله: ويُريدُ ويُحبُّ أنْ يَعْرِفَ النَّاسُ أنَّهُ يَفْعَلُ ذَلكَ، ولا يَقْصِدُ الإخْلاصَ مُطْلقًا، وهَذا نوعٌ مِنَ النِّفَاقِ.

٢ - أنْ يَكُونَ قَصْدُ العَبْدِ ومُرادُهُ لله - تَعالَى -، فإذَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ نَشَطَ في العِبَادَة، وزَيَّنَهَا، وهَذَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؛ فَعَنِ محمود بن لبيد - ﵁ - قَالَ: خرجَ النَّبيُّ - ﷺ - فقَالَ: «**يا أيُّها النَّاسُ، إيَّاكُمْ وشِرْكُ السَّرَائِرِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولُ الله، ومَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟. فَقَالَ: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ جَاهداً؛ لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرُ**» [1].

---

(١) حسن، أخرجه ابنُ خُزَيْمَة في صحيحه (٩٣٧)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (١/١١٩).

٣ - أَنْ يَدْخُلَ العَبْدُ في العِبَادَةِ، ويَخْرُجُ مِنْهَا للهِ: فَعُرِفَ ومُدِحَ، فَسَكَنَ قَلْبُهُ إِلَىٰ ذَلكَ المَدْحِ، ومَنَّىٰ النَّفْسَ بأَنْ يَحْمدوه ويُمَجِّدُوه، ويَنَالُ ما يُريدُهُ مِنَ الدُّنْيَا، وهَذَا السُّرُورُ والرَّغْبَةُ في الازدياد مِنْهُ والحُصُولُ علىٰ مَطْلُوبه يَدُلُ علَىٰ رِيَاءٍ خَفِيٍّ.

٤ - وهُنَا رِيَاءٌ بدَنِيٌّ: كَمَنْ يُظْهِرُ الصغارَ والنُّحولَ؛ ليُرِيَ النَّاسَ بذَلكَ أنَّهُ صَاحبَ عِبَادَةٍ قَدْ غَلَبَ علَيْه خَوْفُ الآخرَة. وقَدْ يَكونُ الرِّياءُ بخَفْضِ الصَّوت، وذبُولُ الشَّفَتَيْنِ؛ ليدُلَّ النَّاسَ علَىٰ أنَّهُ صَائمٌ، وكَذَلكَ إِظْهَارُ أَثَرِ السُّجُودِ عَلَىٰ الوَجْه.

٥ - الرِّيَاءُ بِالْقَوْلِ: وهُوَ عَلَىٰ الغَالبِ رِيَاءُ أَهْلِ الدِّينِ بالْوَعْظِ والتَّذْكير، وحفْظِ الأَخْبَارِ والآثارِ؛ لأَجْلِ المُحَاوَرَةِ والمُنَاظَرَةِ، وإِظْهَارِ الغَضَبِ للْمُنْكَرَاتِ، وإِظْهَارِ الأَسَفِ

عَلَىٰ مُقَارَفَةِ النَّاسِ للمعاصي، وتَضْعِيفِ الصَّوْتِ في الكَلامِ، وتَرْقِيقِ الصَّوْتِ بقِرَاءَةِ القُرْآنِ؛ لِيَدُلَّ ذَلكَ عَلَىٰ الخَوْفِ والحزنِ، وادِّعَاءِ حِفْظِ الحديثِ، ولقَاءِ الشّيوخِ، والدِّقَّةِ علَىٰ مَنْ يروي الحَديثَ ببيانِ خَللٍ في لَفْظِه؛ ليُعْرَفَ أَنَّهُ بَصيرٌ بالأَحَاديثِ، والمُبَادرَةِ إِلَىٰ أنَّ الحَديثَ صَحيحٌ أَوْ غَيْرِ صَحيحٍ لإِظْهَارِ الفَضْلِ فيه، والمُجَادَلَةِ عَلَىٰ قَصْدِ إِفْحَامِ الخَصْمِ؛ ليُظْهِرَ للنَّاسِ قُوَّتَهُ في عِلْمِ الدِّينِ.

والرِّيَاءُ بالقَوْلِ وأَنْوَاعُهُ لا تَنْحَصِرُ، وأَمَّا أَهْلُ الدُّنْيا، فمُرَاءاتهم بالقَوْلِ بحِفْظِ الأَشْعَارِ والأَمْثَالِ والتَّفَاصحُ في العِبَارَاتِ، وحِفْظُ النَّحْوِ والغَريبِ للإِغْرابِ علَىٰ أَهْلِ الفَضْلِ وإِظْهارُ التَّودُّدَ إِلَىٰ النَّاسِ؛ لاستِمَالَةِ القُلُوبَ.

٦ - **الرِّيَاءُ بالعَمَلِ**: كَمُراءاةِ المُصَلِّي بطُولِ القِيَامِ، وَمَدِّ الظَّهرِ، وَطُولِ السُّجُودِ والرُّكُوعِ، وإِطْرَاقِ الرَّأْسِ.

وترك الالْتِفَات، وإظْهَارِ الهُدُوءِ والسُّكُونِ، وتَسْوِيَةِ القَدَمَيْنِ واليَدَيْنِ(١)، وكَذَلكَ بالصَّوْمِ والغَزْوِ والحَجِّ، وبالصَّدَقَةِ وبإطْعَامِ الطَّعامِ، وبالإخْبَاتِ في المَشْيِ عنْدَ اللِّقَاءِ؛ كإرْخَاءِ الجُفُونِ، وتَنْكيسِ الرَّأْسِ، والوَقَارِ في الكلامِ، حَتَّىٰ أنَّ المُرَائي قَدْ يُسْرِعُ في المَشْي إِلَىٰ حَاجَته، فإِذَا اطَّلَعَ عَلَيْه أَحَدٌ منْ أَهْلِ الدِّينِ رجَعَ إِلَىٰ الوَقَارِ وإطْراقِ الرَّأْسِ؛ خَوْفًا منْ أنْ يَنْسبَهُ إِلَىٰ العَجَلَة وقلَّة الوَقَارِ، فإنْ غَابَ الرَّجُلُ عَادَ إِلَىٰ عَجَلَته، فإذَا رآهُ عَادَ إِلَىٰ خُشُوعه، ولَمْ يَحْضرْهُ ذكْرُ الله حَتَّىٰ يَكونَ يجدِّدُ الخشوعَ لهُ، بَلْ هُوَ لإطْلاعِ إنْسَان عَلَيْه، يَخْشَىٰ أَنْ لا يَعْتَقدَ فيه أَنَّهُ منَ العُبَّادِ والصُّلَحَاء، ومنْهُمْ مَنْ إذَا سَمعَ هذا اسْتَحْيَا منْ أَنْ تُخالفَ مشْيَتُهُ في الخُلْوَة بمَرْأَىٰ منَ النَّاسِ، فيكلِّفُ نَفْسَهُ المَشيَةَ الحَسَنَة في الخُلْوَة، حَتَّىٰ إذَا

(١) هذا كله سنن، لكن المقصود إذا كان ينوي بذلك مُرَاءَاة النَّاسِ فله ما نوىٰ، وإذا أرادَ بذَلكَ وجه الله، فَهُوَ لاشكَّ مُثَابٌ مأْجُورٌ.

رآهُ النَّاسُ يفْتَقِرُ إِلَىٰ التَّغْيِير، ويَظُنُّ أَنَّهُ يتَخَلَّصُ به عَنِ الرِّياء، وقَدْ تَضَاعَفَ به رِيَاؤُه، فإِنَّهُ صَارَ في خُلْوَتِه - أَيْضًا - مُرائيًا؛ فإِنَّهُ إِنَّمَا يُحْسِنُ مِشْيَتَهُ في الخلوة؛ ليَكُونَ كَذَلِكَ في المَلأ، لا لخَوْفٍ مِنَ اللهِ وَحَيَاءٍ مِنْهُ.

وأمَّا أَهْلُ الدُّنْيا، فمُرَاءَاتُهُمْ بالتَّبَخْتُرِ والاخْتِيال، وتَحْرِيكِ اليَدَيْنِ، وتَقْرِيبِ الخُطا، والأَخْذِ بأَطْرَافِ الذَّيْلِ، وإِدَارَةِ العِطْفَينِ؛ ليدلُّوا بذَلِكَ عَلَىٰ الجَاه والحِشْمَة.

٧ - رِياءٌ مِنْ جِهَةِ اللِّبَاسِ أَوِ الزيِّ: كَمَنْ يَلْبِسُ ثِيَابًا مُرقَّعةً؛ ليَقُولَ النَّاسُ إِنَّهُ زَاهِدٌ في الدُّنْيَا، أَوْ مَنْ يَلْبَسُ لبَاسًا مُعينًا يرْتَديه ويَلبسهُ طَائفةٌ مِنَ النَّاسِ يَعُدُّهُمُ النَّاسُ عُلمَاءَ، فَيَلْبسُ هَذا اللباسَ ليُقَالَ عالِمٌ.

٨ - الرِّيَاءُ بالأصْحَابِ والزَّائرِينَ: كالَّذي يَتَكَلَّفُ أَنْ يسْتَزِيرَ عَالمًا؛ ليُقَالَ إِنَّ فُلانًا قَدْ زَارَ فُلانًا، ودعوةُ النَّاسِ لزِيَارَتِه؛ كَيْ يُقالَ: إِنَّ أَهْلَ الدِّينِ يتَرَدَّدونَ عَلَيْه.

٩ - الرِّيَاءُ بِذَمِّ النَّفْسِ بَيْنَ النَّاسِ: ويُريدُ بذلكَ أنْ يُري النَّاسَ أنَّهُ مُتواضِعٌ عِنْدَ نَفْسِه، فيرْتَفِعُ بذَلكَ عِنْدَهُمْ ويَمْدَحُونَهُ بِه، وهَذَا مِنْ دَقَائقِ أبْوَابِ الرِّياءِ، وقَدْ نَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ.

قَالَ مُطَرِّفُ بن عبد الله بن الشِّخير: «كَفَىٰ بالنَّفْسِ إطْرَاءً أنْ تَذُمَّهَا عَلَىٰ الملإِ، كَأنَّكَ تُريدُ بذَمِّهَا زينتَهَا، وذَلكَ عِنْدَ اللهِ سَفَهٌ»(١).

١٠ - ومِنْ دَقَائقِ الرِّياءِ وخَفَاياهُ: أنْ يُخْفي العاملُ طَاعَتَهُ بحَيثُ لا يُريدُ أنْ يطَّلِعَ عَلَيْهَا أحدٌ ولا يُسَرَّ بظُهُورِ طَاعَتِه، ولَكنَّهُ معَ ذَلكَ إذَا رَأَىٰ النَّاسَ أحَبَّ أنْ يَبْدَءوهُ بالسَّلامِ، وأنْ يُقَابلوهُ بالبَشَاشَةِ والتَّوْقيرِ، وأنْ يُثْنُوا عَليه، وأنْ يَنْشَطوا في قَضَاءِ حَوَائجِه، وأنْ يُسَامِحُوهُ في البَيْعِ والشِّرَاءِ، فإنْ لَمْ يَجِدْ ذلك وَجَدَ

---

(١) شرح حديث «ما ذئبان جائعان» لابن رجب (ص٤٦).

أَلَمًا في نَفْسِهِ، كَأَنَّهُ يَتَقَاضَىٰ الاحْتِرَامَ عَلَىٰ الطَّاعَةِ الَّتي أَخْفَاهَا.

١١ - **ومِنْ دقَائِقِ الرِّيَاءِ**: أنْ يَجْعَلَ الإِخْلاصَ وَسِيلَةً لما يُرِيدُ مِنَ المطَالِبِ، قَالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية - رحِمَهُ اللهُ -: « حُكِيَ أنَّ أبا حامد الغزَاليّ بَلَغَهُ أَنَّ مَنْ أَخْلَصَ للهِ أَرْبَعينَ يومًا تَفَجَّرَتِ الحِكْمَةُ مِنْ قَلْبِهِ عَلَىٰ لسانه.

قَالَ: فأَخْلَصْتُ أرْبَعينَ يومًا، فلم يَتَفَجَّرْ شيء، فذَكَرْتُ ذَلكَ لبَعْضِ العارِفينَ، فَقَالَ لي: إنَّك أَخْلَصْتَ للحكمَةِ، ولَمْ تُخْلِصْ للهِ »[١].

---

(١) انظر « درء تعارض العقل والنقل » لابن تيمية (٦/٦٦)، و« منهاج القاصدين » (٢١٤ - ٢٢١)، و« الإخلاص » للعوايشة (٢٤)، و« الإخلاص والشرك الأصغر » لعبد العزيز بن عبد اللطيف (٩)، و« الرياء » للهلالي (١٧)، و« نور الهدىٰ » للقحطاني (١٢٥ - ١٢٧).

خطرُ الرِّيَاء

الرِّيَاءُ خطَرُهُ عَظِيمٌ عَلَىٰ الفَرْدِ والمُجْتَمَعِ والأُمَّةِ؛ لأَنَّهُ يُحبطُ العَمَلَ.

ويَظْهَرُ خَطَرُ الرِّيَاءِ في الأُمُورِ الآتيَة:

١ - الرِّيَاءُ أَخْطَرُ عَلَىٰ المسلمين من المسيح الدجّال:

فَعَنْ أبي سَعيدٍ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله - ﷺ - ونَحْنُ نَتَذَاكَرُ المَسيحَ الدَّجَّال، فَقَالَ: «**ألا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هو أخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدي منَ المسيحِ الدَّجَّال؟، الشِّرْكُ الخفيُّ، أنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فيُصَلِّي، فيُزَيِّنُ صَلاتَهُ لما يرىٰ مِنْ نَظَرِ رجُلٍ**»(١).

---

(١) حسن، أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجه» (٣٣٨٩).

٢ - الرِّيَاءُ أَشَدُّ فتكًا مِنَ الذِّئْبِ فِي الغَنَم:

فَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ - ﷺ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَىٰ المَالِ والشَّرَفِ لِدِينِهِ**»[1].

٣ - الرِّيَاءُ يُذْهِبُ بَرَكَةَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَيُبْطِلُهَا:

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)**﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - ﷺ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٤٩٥)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الترمذي» (١٩٣٥).

- ﷺ - يَقُول: «**قَالَ اللهُ - تعالَىٰ - : أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ**»[١].

وَعَنْ أَبي سَعيدِ بْن أَبي فَضَالَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ - : «**إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ والآخِرينَ لِيَوْمِ القِيَامَة، لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فيه نَادى مُنادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ في عَمَلٍ عَمِلَهُ لله، فَلْيَطْلُب ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله؛ فإِنَّ اللهَ أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْك**»[٢].

٤ - يُسبب عذاب الآخرة:

ولهذا أَوّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بهمُ النَّارُ يَوْمَ القِيامَة: قارئُ القُرآنِ، والمُجاهدُ، والمُتَصَدِّقُ بمَالِه، الذين فعَلوا ذلك

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٥٤)، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترمذي» (٣/٧٤)، وقال الترمذيُّ: حديث حسنٌ غريب.

ليُقال: فلانٌ قارئٌ، فُلانٌ شُجَاعٌ، فُلانٌ كَرِيمٌ مُتَصَدِّقٌ. ولَمْ تَكُنْ أَعْمَالُهُمْ خَالِصَةً لله - تَعَالَىٰ -[١].

٥ - الرِّياءُ يُورثُ الذُّلَّ والصَّغَارَ والهَوانَ والفضيحةَ:

فَعَنِ ابنِ عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: **«مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، ومَنْ يُرائي يُرائي اللهُ بِهِ»**[٢].

٦ - الرِّيَاءُ يَحرمُ ثَوابَ الآخِرَةِ:

فَعَنْ أُبيّ بن كعْبٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: **«بَشِّرْ هَذه الأُمَّة بالسَّنَاء[٣] والدِّين، والرِّفْعَة، والتَّمْكِين في الأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ للدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»**[٤].

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦).

(٣) السنا: الرفعة.

(٤) صحيح، رواه أحمد (٥/١٣٤)، وصححه الألبانيُّ في صحيح الترغيب (١/١٥).

٧ - الرِّيَاءُ سَبَبٌ في هَزِيمَةِ الأُمَّةِ:

فَعَنْ سَعْدٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ، وَصَلاتِهِمْ، وَإِخْلاصِهِمْ**»(١).

فَإِذَا تَخَلَّىٰ مَنْ يَنْصُرُ اللهُ بِهِمُ الأُمَّةَ عَنِ الإِخْلاصِ كَانَ ذَلِكَ سَبَبٌ في هَزِيمَتِها(٢).

٨ - الرِّيَاءُ يَزِيدُ الضُّلَّالَ ضَلالاً:

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - عَنِ المُنَافِقِينَ: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ⑩﴾ [البقرة: ١٠].

---

(١) صحيح، أخرجه النّسائي (٢٩٧٨)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب» (١/٦).

(٢) انظر «نور الهدىٰ» للقحطانيّ (١٢٢ - ١٢٥).

٩ - الرِّيَاءُ سَبَبٌ لِتَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ:

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - حاكيًا عَنِ الشَّيْطَانِ وإِغْوَائِيهِ لِمَنْ في الأَرْضِ: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)** ﴾

[الحِجْر: ٣٩، ٤٢].

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ -: ﴿ **فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)** ﴾

[ص: ٨٢، ٨٣].

فالإِخْلاصُ يَمْنَعُ سُلْطَانَ الشَّيْطَانِ وتَسَلُّطَهُ.

قَالَ ابنُ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللهُ -: «فبيَّنَ أنَّ سُلطَانَ

الشَّيْطَانِ وإِغْوَاءهُ إِنَّمَا هُوَ لِغَيْرِ المُخْلَصِين»[١].

وَقَالَ الفَخْرُ الرَّازِيّ: «اعْلَمْ أَنَّ إِبْلِيسَ اسْتَثْنَىٰ المُخْلَصِينَ؛ لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ كَيْدَهُ لا يَعْمَلْ فيهم، ولا يَقْبَلونَ مِنْهُ»[٢].

ولَقَدْ أَكَّدَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ – إِعْلان إِبْلِيس عن عجْزِه ويَأْسِه عَنْ بُلُوغِ غَايَتَهُ في عِبَاده المُخْلَصِينَ بقَوْله – جَلَّ وعَلا –: ﴿**قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤)**﴾ [الحجر: ٤١ – ٤٤][٣].

قَالَ الزَّجَّاجُ – رَحِمَهُ اللهُ – في مَعْنَى قَوْلِهِ – تَعَالَى –:

---

(١) «الفتاوىٰ» (١٠/٥٠).

(٢) «التفسير الكبير» (١٩/١٨٨).

(٣) «عداوة الشيطان للإنسان وعلاجها» للحواس (٤٥٤).

﴿ إنَّ عِبَادي لَيْسَ لكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر: ٤٢]: «أي مَنْ أَخْلَصَ فَلا حُجَّةَ لَكَ عَلَيْهِ ولا سُلْطَان»(١).

وقَالَ جَمَالُ الدِّينِ القَاسِميّ: «أي حق نَهجَهُ ومُراعاتُهُ لا اعْوِجَاجَ فيه، وهُوَ أنْ لا سُلْطَانَ لَكَ عَلَىٰ عِبَادي المُخْلصينَ، إلاَّ الَّذينَ يُنَاسِبُونَكَ في الغِوَايَةِ، والبُعْدِ عَنْ صِرَاطِي، فيَتَّبِعونَكَ» (٢).

---

(١) «معاني القُرآن وإعرابه» للزجاج (٣/ ٢٥١).
(٢) «محاسن التأويل» للقاسمي (١٠/ ٥٧).

العَمَلُ للدُّنْيَا

هُوَ أَنْ يَعْمَلَ الإِنْسَانُ عَمَلاً صَالِحًا يُرِيدُ بِهِ غَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، وَهَذا شِرْكٌ يُنافي كَمَالَ التَّوْحِيدِ الوَاجِبِ، ويُحْبِطُ العمَلَ، وهو أعْظَمُ مِنَ الرِّيَاءِ؛ لأنَّ مُريدَ الدُّنْيا قد تَغْلُبُ إرَادَتُهُ عَلَىٰ كَثيرٍ مِنْ عَمَلِه، وأَمَّا الرِّيَاءُ فَقَدْ يَعْرِضُ لَهُ في عَمَلٍ دونَ عَمَلٍ، ولا يَسْتَرْسِلُ مَعَهُ، والمُؤْمِنُ يَكُونُ حَذِرًا مِنْ هَذا وهَذَا.

الفرقُ بيْنَ الرِّيَاءِ، وإرَادَةُ الإنسَان بعَمَلِهِ الدُّنْيا:

هُو أنَّ بينهُما عُمومٌ وخُصوصٌ مُطْلَقٌ يَجْتَمِعَانِ في أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا أَرَادَ بعَمَلِه التَّزَيُّنَ عِنْدَ النَّاسِ؛ ليَرَوْهُ ويُعَظِّمُوهُ ويَمْدَحُوهُ؛ فهذَا رِيَاءٌ وهو - أَيْضًا - إِرَادَةٌ

للدُّنْيَا؛ لأنَّهُ تَصَنَّعَ عِنْدَ النَّاسِ، وطَلَبَ الإِكْرَامَ مِنْهُمْ والْمَدْحَ والثَّنَاءَ.

أَمَّا العمَل للدُّنْيَا فَهُوَ أَنْ يَعْمَلَ الإِنْسَانُ عَمَلاً صَالحًا لا يَقْصِدُ به الرِّيَاءَ للنَّاسِ، وإِنَّما يَقْصِدُ به عَرضًا منَ الدُّنْيَا: كَمَنْ يَحجُّ عَنْ غَيْرِه؛ ليَأْخُذَ مَالاً، أَوْ يُجَاهِدُ للمَغْنَمِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ فالْمُرَائي عَملَ لأَجْلِ المَدْحِ والثَّنَاءِ منَ النَّاسِ، والعَاملُ للدُّنْيَا يَعْمَلُ العَمَلَ الصَّالحَ يُريدُ به عَرَضَ الدُّنْيَا، وكِلاهُمَا خاسِرٌ، نَعُوذُ باللهِ منْ مُوجِبَاتِ غَضَبِه وأَليمِ عِقَابِه»[1].

وَقَدْ جَاءَتْ النُّصُوصُ تَدُلُّ عَلَىٰ خُسْرَانِ صَاحِبِ هَذَا العَمَلِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ

---

(١) انظر «فتح المجيد» (٤٤٢)، و«تيسير العزيز الحميد» (٥٣٤)، و«نور الهدىٰ» (١١٩، ١٢١).

فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) ﴾ [الإسراء: ١٨].

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢٠) ﴾

[الشورىٰ: ٢٠].

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) ﴾

[البقرة: ٢٠٠].

وعَـنْ أَبـي هُـرَيْـرَةَ - رضي الله عنه - قَـالَ : قَـالَ رَسُـولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : **«مَنْ تعلَّمَ علمًا ممّا يُبْتغَىٰ به وجْهُ الله - عزَّ وجَلَّ - لا يتعلَّمُهُ إلاَّ ليُصيبَ به عَرَضًا منَ الدُّنْيَا لَمْ يَجدْ عَرْفَ الجنَّةَ يوْمَ القيَامَة»**[١] .

وتَكَفَّلَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - بالسَّعادَة لمَنْ عَملَ لله؛ فَعَـنْ زَيد بن ثابت - رضي الله عنه - قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : **«مَنْ كَـانَتْ الآخـرَةُ همَّـهُ جَـعَلَ اللهُ غنَاهُ في قَلْبـه، وَجَمَعَ لَـهُ شَـمْلَهُ، وأَتَتْـهُ الدُّنْيَـا وهي رَاغمَـةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيا همَّـهُ جعَلَ اللهُ فقْرَهُ بيْنَ عيْنيْه، وفرَّقَ علَيْه شَمْلَهُ، ولَمْ يَأْته منَ الدُّنْيَا إلاَّ ما قُدِّرَ لَهُ»**[٢] .

---

(١) صحيح، رواهُ أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وصححه الألبانيُّ في صحيح ابن ماجه (٢٠٤).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٢٤٦٥)، وابن ماجه (٤١٠٥)، وصححه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٦٥١٠)، والصَّحيحة (٩٥٠).

فَبَعْدَ أنْ عَرفنَا خُطورَةَ العَمَلِ للدُّنْيَا وأَنَّهُ أَخْطَرُ مِنَ الرِّيَاءِ، فَعِلاجُ ذَلِكَ أن نَنْظُرَ في حقَارَتِهَا، وأَنَّهَا لا تَسْتَحقُّ منَّا أَنْ نَلْتَفتَ إِلَيْهَا فَضْلاً عَنْ جَعْلِهَا طَرِيقًا لَنَا إِلَىٰ النَّارِ - والعِيَاذُ بالله -.

قَالَ العَلاَّمَةُ ابنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: « فَأَوَّلُ شَوَاهِدِ السَّائِرِ إِلَىٰ اللهِ والدَّار الآخِرَةِ أَنْ يَقُومَ بِهِ شَاهِدٌ من (الدُّنْيا وحقارتها) وَقِلَّة وفَائِهَا، وكَثْرَةِ جفَائِهَا، وخِسَّةِ شُرَكَائِهَا، وسُرْعَةِ انْقِضَائِهَا.

[ومَا هي إِلاَّ سَاعة ثُمَّ تَنْقَضِي
وَيَذْهَبُ هَذَا كُلُّهُ ويَزُولُ]

ويَرَىٰ أهْلَهَا وعُشَّاقَهَا صَرْعَىٰ حَوْلَهَا قَدْ بَدَّعَتْ وعذَّبَتْهُم بأَنْوَاعِ العَذَابِ، وَأَذَاقَتْهُمْ أَمَرَّ الشَّرَابِ.

أَضْحَكَتْهُمْ قَليلاً، وأَبْكَتْهُمْ طَويلاً، سَقَتْهُمْ كُؤوسًا سُمّها بَعْدَ كُؤُوسِ خَمْرِها، فَسَكروا بحبِّها وماتوا بهجْرِهَا.

فإذا قَامَ بالعَبْدِ هَذا الشَّاهِدُ مِنْهَا ترَحَّلَ قَلْبُهُ عَنْهَا وسَافَرَ في طَلَبِ الدَّارِ الآخِرَةِ، وحينئذٍ يَقُومُ بقَلْبِه شَاهِدٌ مِنَ (الآخِرَةِ ودَوامِها) وأَنَّها هي الحَيَوَانُ حقًا، فأَهلُها لا يَرْتَحِلونَ مِنْهَا، ولا يظْعنونَ عَنْهَا، بَلْ هِيَ دَارُ القَرَارِ ومَحَطُّ الرِّحَالِ، ومُنْتَهىٰ السَّيْرِ، وأَنَّ الدُّنْيَا بالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا كَمَا قَالَ النَّبيُّ - ﷺ -: «**مَا الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلاَّ كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أَصبعَهُ في اليَمِّ فَلْيَنْظُرُ بِمَ يرْجِع**».

وقَالَ بَعْضُ التَّابعِينَ: مَا الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلاَّ أَقَلُّ مِنْ ذَرَّةٍ وَاحِدَةٍ في جبَالِ الدُّنْيَا»[١].

---

(١) «إحسان سلوك العبد المملوك إلىٰ ملك الملوك» عبد الكريم بن صالح الحميد (٢٢٨، ٢٢٩).

أنواعُ العَمل للدُّنْيَا

العَمَلُ للدُّنْيا أَنْوَاعٌ كثيرةٌ نَقَلَ الإمَامُ محمَّد بن عبْد الوهَّاب - رَحمَهُ اللهُ - عَنِ السَّلَف أَرْبَعةَ أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الأَوَّلِ - العَمَلُ الصَّالحُ الَّذي يَفْعَلُهُ كَثيرٌ منَ النَّاسِ؛ ابْتغَاءَ وَجْه الله - تَعَالَىٰ - : منْ صَدَقَة، وصَلاة، وإحْسَان إِلَىٰ النَّاسِ، وردِّ ظُلمٍ، ونَحْو ذَلكَ ممَّا يَفْعَلُهُ الإِنْسَانُ أَوْ يَتْرُكُهُ خَالصًا لله - تَعَالَىٰ؛ لكنَّهُ لا يُريدُ ثَوَابَهُ في الآخرَة، وإنَّما يُريدُ أنْ يُجَازيَهُ اللهُ بحفْظ مَاله، وتَنْميَته، أو حفْظ أَهْله وعيَاله، أو إدَامَة النَّعيمِ عَلَيْه وعَلَيْهمْ، ولا همَّةَ لَهُ في طَلَب الجَنَّة والهَرَب منَ النَّار؛ فَهَذَا يُعْطَىٰ ثَوَابَ عَمَله في الدُّنْيَا ولَيْسَ لَهُ في الآخرَة منْ نَصيبٍ. وهَذَا مَرْويٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - .

النَّوعُ الثَّاني - وَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الأَوَّلِ وَأَخْوَف، وهُوَ أَنْ يَعْمَلَ أَعْمَالاً صَالِحَةً، ونِيَّتُهُ رِيَاءُ النَّاسِ لا طَلَبُ ثَوَابَ الآخِرَةِ. وهُوَ مَا ذُكِرَ عن مجاهدٍ -- رَحِمَهُ اللهُ -- .

النَّوْعُ الثالثُ - أَنْ يَعْمَلَ أَعْمَالاً صَالِحَةً يَقْصِدُ بِهَا مَالاً، مِثْلَ أَنْ يَحُجَّ عَنْ غَيْرِهِ لِمَالٍ يَأْخُذُهُ، ولا يَقْصِدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ ولا الدَّارَ الآخِرَةِ، أو يُهَاجِرَ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أو يُجَاهِدَ لأَجْلِ المَغْنَمِ، أَوْ يَتَعَلَّمَ العِلْمَ لِيَحْصُلَ عَلَىٰ الشَّهادَةِ وعَلَىٰ الجَاهِ، ولا يَقْصِدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ مُطْلَقًا، أَوْ يَتَعَلَّمَ القُرْآنَ ويُوَاظِبَ علَىٰ الصَّلاةِ؛ لأَجْلِ وظيفَةِ المَسْجِدِ أو غَيْرِهِ مِنَ الوَظَائِفِ الدِّينيَّةِ، ولا يُرِيدُ بِذلكَ ثَوَابًا مُطْلَقًا.

النَّوعُ الرَّابعُ - أَنْ يَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللهِ مُخْلِصًا في ذَلكَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، ولَكِنَّهُ عَلَىٰ عملٍ يُكَفِّرُهُ كُفْرًا

يُخْـرِجُـهُ عَنِ الإِسْـلامِ، كَـمَنْ يَـأْتي بنَـاقِضٍ مِنْ نَـوَاقِضِ الإِسْلامِ. ذُكِرَ ذَلِكَ عَنْ أَنَسٍ - ﷺ - وَغَيْرِهِ»[١].

---

(١) انظر «فتح المجيد» (٤٤٤)، و«تيسير العزيز الحميد» (٥٣٦)، و«القول السديد في مقاصد التوحيد» للسَّعدي (١٢٦).

تَرْكُ العَمَلِ خَوْفَ الرِّيَاءِ

بَعْضُ النَّاسِ اعْتَادَ فِعْلَ الخَيْرِ، فإذَا لاَحَ لَهُ لائِحٌ مِنْ رِيَاءٍ، فَبَدَلاً مِنْ أَنْ يُجَاهِدَ نَفْسَهُ في دَفْعِهِ يَتْرُكَ الطَّاعَةَ خَوْفًا مِنْ هَذَا العَارِضُ.

وهَذَا العَمَلُ هُوَ الرِّيَاءُ بِعَيْنِه، بَلْ قَدْ أَشَارَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَىٰ أنَّ تَرْكَ العَمَلِ لأَجْلِ النَّاسِ أَخْطَرُ مِنَ الرِّيَاءِ.

قَالَ الفُضَيلُ بْنُ عِيَاضٍ - رَحِمَهُ اللهُ - : « تَركُ العَمَلِ لأَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ، والعَمَلُ لأَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، والإِخْلاصُ أَنْ يُعافيكَ اللهُ منهُما »(١).

قَالَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: « ومَعْنَىٰ كَلامِهِ - رَحِمَهُ

---

(١) « مدارج السالكين » (٢ / ٨٤).

اللهُ - أَنَّ مَنْ عَزَمَ عَلَىٰ عِبَادَةٍ وتَرَكَهَا مَخَافَةَ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ، فَهُوَ مُراءٍ؛ لأنّهُ تَرَكَ العَمَلَ لأَجْلِ النَّاسِ، أمَّا لو تَرَكَهَا ليُصَلِّيهَا في الخُلْوَةِ، فَهَذَا مُسْتَحَبٌّ إلاَّ أنْ تَكُونَ فَريضَةً أَوْ زَكَاةً وَاجِبَةً، أَوْ يَكُونَ عَالمًا يُقْتَدَىٰ بِهِ؛ فَالجَهْرُ بالعِبَادَةِ في ذَلِكَ أَفْضَلُ . . »[1] .

وَقَالَ ابنُ تَيمِيَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - : « وَمَنْ كَانَ لَهُ وِرْدٌ مَشْرُوعٌ مِنْ صَلاةِ الضُّحَىٰ، أَوْ قِيَامِ لَيْلٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يصليه حَيْثُ كَانَ، ولا يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَدَعَ وِرْدَهُ المَشْرُوعِ لأَجْلِ كَوْنِهِ بَيْنَ النَّاسِ، إذَا عَلِمَ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنّهُ يَفْعَلُهُ سِرًّا للهِ مَعَ اجْتِهَادِهِ في سَلامَتِهِ مِنَ الرِّيَاءِ ومُفْسِدَاتِ الإِخْلاصِ.

إلى أَنْ قَالَ: « وَمَنْ نَهَىٰ عَنْ أَمْرٍ مَشْرُوعٍ بِمُجَرَّدِ زَعْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ رِيَاءٌ، فَنَهْيُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ مِنْ وُجُوهٍ:

---

(١) « شرح الأربعين النووية » للنووي (١١) .

أحَدها - أنَّ الأَعْمَالَ المشْروعة لا يُنْهَىٰ عَنْهَا خَوْفًا مِنَ الرِّيَاءِ، بَلْ يُؤْمَرُ بهَا، وبالإِخْلاصِ فيها .. فالفَسَادُ في تَرْكِ إِظْهَارِ المَشْرُوعِ أَعْظَمُ مِنَ الفَسَادِ في إِظْهَارِهِ ريَاء.

الثـاني - لأنَّ الإِنْكَارَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَىٰ مَا أَنْكَرَتْهُ الشَّريعةُ.

الثَّالِثُ - إنَّ تَسْويغَ مِثْل هَذَا يفضي إلىٰ أنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ والفَسَادِ يُنْكرونَ عَلَىٰ أَهْلِ الخَيْرِ والدِّين، إذا رَأوا مَنْ يُظْهِرُ أَمْرًا مشْروعًا، قَالوا: هَذا مُرَاءٍ، فيَتْرُكَ أَهلُ الصِّدْقِ إِظْهَارَ الأمورِ المشْروعةِ؛ حَذَرًا مِنْ لَمزِهِمْ، فيتَعَطَّلُ الخَيْرَ.

الرَابعُ - إنَّ مِثْلَ هَذَا مِنْ شَعَائرِ المُنَافقِينَ، وهو الطَّعْنُ عَلَىٰ مَنْ يُظْهِرُ الأعْمَالَ المشْرُوعة، قَالَ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **الَّذينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنين في الصَّدَقَات**

وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) ﴾ [التوبة: ٧٩][1].

---

(١) «الفتاوى» (٢٣/ ١٧٤، ١٧٥).

تَحْصيلُ الإخْلاصِ

١ - مَعْرِفَةُ عَظَمَةِ اللهِ وفَضْلِه:

أنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ مُريدِ الإخْلاصِ مَعْرِفَةُ عَظَمَةِ اللهِ، وفَضْله عَلَيْه، وتَوْفيقه، وأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ باللهِ لا بنَفْسه، وأَنَّهُ إِنَّمَا أَوْجَبَ عَمَلَهُ مشيئَةُ اللهِ لا مَشيئَته هُوَ ... فَكُلُّ خَيْرٍ هوَ مُجرَّدُ فَضْلِ اللهِ ومنَّته [١]. وأَنَّ النَّاسَ لا يَنْفَعُونَ ولا يَضُرُّونَ إلاَّ أنْ يَشَاءَ اللهُ.

٢ - تَعَلُّمُ الإخْلاصَ:

عَلَىٰ العَبْدِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الإخْلاصَ ومَا يَتَعَلَّقُ به كَمَا يَتَعَلَّم العُلومَ الشَّرْعيَّة، بَلْ لَوْ جَعَلَ لإخْلاصِه الثُّلُثَيْنِ مِنْ نَصيبِ العِلْمِ مَا كَانَ ذَلكَ كثير [٢]..

---

(١) انظر «الإخْلاص والشِّرْك الأصْغر» الدكتور العبد اللطيف (١٤).

(٢) التَّفرُّغ لتعلُّم النَّاس مقَاصدهم أُمنية تراود العلماء، قَالَ عبد الله بن

قَالَ الإمَامُ المَقْدِسِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: « وَلَيْتَ شِعْرِي، كَيْفَ تَصْلُحُ نِيَّةُ مَنْ لا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ النِّيَّة؟ ، أَوْ كَيفَ يُخْلِصُ مَنْ صَحَّحَ النِّيَّةَ؛ إذْ لَمْ يَعْرِفْ حَقِيقَةَ الإخْلاصِ؟ أَوْ كَيْفَ يُطَالِبُ المُخْلِصُ نَفْسَهُ بالصِّدْقِ إذا لَمْ يَتَحَقَّقْ مَعْنَاهُ؟ فَالوَظِيفَةُ الأُولَىٰ عَلَىٰ عَبْدٍ أرادَ طَاعَةَ الله - تَعَالَىٰ -؛ أنْ يَتَعَلَّمَ النِّيَّةَ أَوَّلاً؛ لِتَحْصُلَ لَهُ المَعْرِفَةُ، ثُمَّ يُصححها بالعَمَلِ بَعْدَ فهم حَقِيقَة الصِّدْقِ والإخْلاصِ، اللَّذَيْنِ هُمَا وَسِيلَتَان للْعَبْدِ إلَىٰ النَّجَاةِ »[١].

وَقَالَ يَحْيَى بن أبي كثير: « تَعَلَّموا النِّيَّةَ؛ فإنَّها أَبْلَغُ مِنَ العَمَلِ »[٢].

= أبي جَمرَةَ: « وددْتُ أنَّهُ لوْ كَانَ منَ الفُقَهَاءِ مَنْ لَيْسَ لهُ شغلٌ إلاَّ تَعْلِيم النَّاسِ مقَاصدَهُمْ في أَعْمَالِهِم، ويقْعد في أعْمالِ النِّيَّات ليس إلاَّ...؛ فإنَّهُ ما أُتي علَىٰ كثير من النَّاس إلاَّ من تضييع النِّيَّات » « المدخل » لابن الحاج (١ / ٥).

(١) « مختصر منهاج القاصدين » (٣) .

(٢) « حلية الأولياء » (٣ / ٧٠).

٣ - الخَوْفُ مِنَ الرِّيَاءِ:

لاشكَّ أنَّهُ مَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْهُ، فإذا عَرفَ المُسْلمُ خُطُورَةَ الرِّيَاء، وأنَّهُ سَببٌ في التَّعَرُّضِ لمَقْت الله، وأليم عقَابه، وأنَّ النَّاسَ لا يضرونَ ولا يَنْفَعُونَ؛ زَهَدَ في الرِّيَاء زُهْدَ المُلُوك في المَيْتَة.

ولْيَعْلَمَ المَرْءُ أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - خَافَ عَلَىٰ أُمَّتِه مِنَ الرِّيَاءِ، وبَالَغَ في التَّحْذيرِ منْهُ ليُحَذِّرَهُ النَّاسَ.

فَعَنْ محمود بن لبيد - رضي الله عنه - عَنِ النَّبيِّ - ﷺ - قَالَ: «**إنَّ أخْوَفَ مَا أخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْك الأصْغَر**»، قَالوا: وما الشِّرْكُ الأَصْغَر يا رَسُولَ الله؟. قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ يَوْمَ القيَامَة إذَا جَزَىٰ النَّاسَ بأعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إلَىٰ الَّذينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ في الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»[١].

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٥/ ٤٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٥٥).

ولهَذا فإنَّ المؤْمنَ الحَقَّ هُوَ الَّذي يَعْبُدُ اللهَ، ويُخْلِصُ عمَلَهُ لله، وهُوَ يَخَافُ أَلاَّ يُقْبَلَ منْهُ.

فَعَنْ عَائشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم - عَنْ هَذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

قَالَتْ عَائشَةُ - رضي الله عنها -: هُمُ الَّذينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ ويَسْرِقُونَ؟.

قَالَ - صلى الله عليه وسلم -: «**لا يا ابنةَ الصِّدِّيقِ، ولكنَّهُمْ الَّذينَ يصومونَ ويُصَلُّونَ ويَتَصَدَّقُونَ، وهُمْ يَخَافون أَنْ لا يُقْبَلَ منْهُمْ، أُولَئكَ الَّذينَ يُسَارِعونَ في الخَيْرَاتِ**»[١].

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٤٠١)، وأحمد (٦/١٥٩)، وصححه الترمذي في «الصحيحة» (١٦٢).

٤ - مَعْرِفَةُ أَنَّ الرِّيَاءَ سَبَبٌ لعذَابِ الآخِرَةِ:

إذا كَانَ الرِّيَاءُ مُحْبِطًا للعَمَلِ الَّذي قارَنَهُ، فَهُوَ سَبَبٌ لعَذَابِ الآخِرَةِ، فإذَا عَلِمَ المُسْلِمُ ذَلِكَ ابْتَعَدَ عَنْهُ غَايَةَ البُعْدِ.

فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ - ﷺ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «**إنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ استُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فيهَا؟ قَال: قَاتَلْتُ فيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ قَاتَلْتَ؛ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ في النَّارِ.**

ورَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وقَرأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فيها؟.

قَـالَ: تعَلَّمْتُ العلْمَ وَعَلَّمْتُـهُ، وقَـرأْتُ فيكَ القُـرآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، ولَكنَّكَ تعَلَّمْتَ العلْمَ ليُقَالَ عَالمٌ، وقَرأْتَ القُرْآنَ ليُقَالَ هُوَ قَارئٌ، فَقَدْ قيلَ. ثُمَّ أُمرَ به فَسُحبَ عَلَىٰ وَجْهه حَتَّىٰ أُلْقيَ في النَّار.

ورَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْه وأَعْطَاهُ منْ أَصْنَاف الْمَال كُلّه، فأُتيَ به فَعرَّفَهُ نعَمَهُ فَعرَفَهَا، قَال: فَمَا عَملْتَ فيهَا؟. قَالَ: مَا تَركْتُ منْ سَبيلٍ تُحبُّ أَنْ يُنْفقَ فيهَا إلاَّ أَنْفقْتُ فيها لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، ولَكنَّكَ فَعلْتَ ليُقَالَ هُوَ جَوادٌ، فَقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمرَ به فَسُحبَ عَلَىٰ وَجْهه ثُمَّ أُلْقيَ في النَّار»[١].

٥ - الخَوْفُ منْ سُوء الخَاتمَة:

الخَاتمةُ مفْتَاحٌ لمَصير الآخرَة؛ لحَديث سَهْلِ بْن سَعْدٍ

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥).

- رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»**(١).

وَقَدْ كَانَ الصَّالِحُونَ يَخْشَوْنَ مِنْ سُوءِ الخَاتِمَةِ، فَيَحْرِصُونَ عَلَىٰ إِخْفَاءِ أَعْمَالِهِمْ، ويُخْلِصُونَ أَعْمَالَهُمْ للهِ؛ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ عَلَىٰ نِيَّاتِهِمُ الَّتِي مَاتوا عَلَيْهَا.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَىٰ نِيَّاتِهِم»**(٢).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ»**(٣).

وَتَكُونُ سُوءُ الخَاتِمَةِ لِمَنْ صَلُحَ ظَاهِرُهُ وفَسَدَ بَاطِنُهُ،

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٤٩٣) واللفظُ لَهُ، ومُسْلِمُ (١١٢).

(٢) صحيح، رواه أحمد (٢/ ١٩٤)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٨٠١٤).

(٣) رواه مسلم (١٩٤٨).

كَما تَكونُ لِمَنْ فَسَدَ ظَاهِرُهُ وبَاطِنُهُ – أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا – .

٦ – المُحَاسَبة :

لابُدَّ لِلمَرْءِ مِنْ مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ، وحَمْلِهَا عَلَىٰ الإِخْلاصِ؛ فإِنَّ زَكَاةَ النَّفْسِ وطَهَارَتَهَا مَوْقُوفٌ عَلَىٰ مُحَاسَبَتِهَا، فلا تزكو، ولا تَطْهُرْ، ولا تَصْلُحْ البَتَّةَ إِلاَّ بمُحَاسَبَتِهَا[١] .

وَعَلَىٰ المَرْءِ أَنْ يَصْدُقَ في مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ، ولا يَلْتَمِسْ لَهَا الأَعْذَار، ولا يُحْسِنْ بِهَا الظَنّ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يُسِيءَ الظَنَّ بهَا؛ فإِنَّ ذَلكَ يُمَكِّنَهُ مِنْ إِمَاطَةِ اللِّثَامِ عَنْ مَسَاوِيها وعُيُوبهَا، ويَسْتَخْرِجُ أطْمَاعَهَا، وشَهَوَاتِهَا الخَفِيَّة كالرِّيَاءِ وحُبِّ الرِّيَاسَةِ والظُّهُورِ.

(١) انظر «الأَخْلاق بَيْنَ الطبْعِ والتَّطَبُّع» لراقمه (٥٣).

ومُحَاسَبَةُ المَرْءِ لنَفْسِهِ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ البَرَاءَةِ مِنَ النِّفَاقِ والتَّرَقِّي في دَرَكَاتِ الإِخْلاصِ، فلا يُقْدِمُ عَلَىٰ عَمَلٍ إلاَّ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ، وهَكَذَا كَانَ السَّلَفُ الأَبْرَارِ.

قَالَ الحَسَنُ - رَحِمَهُ اللهُ -: «كَانَ الرَّجُلُ إِذَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ تَثَبَّتَ؛ فَإِنْ كَانَ للهِ مَضَىٰ، وإِنْ خَالَطَهُ شَكٌّ أَمْسَكَ»[١].

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - : «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا وقَفَ عِنْدَ هَمِّهِ، فإِنَّ أَحَدًا لا يَعْمَل حَتَّىٰ يَهِمَّ، فإِنْ كَانَ للهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَضَىٰ، وإِنْ كَانَ لِغَيْرِ اللهِ أَمْسَكَ»[٢].

وَقِيلَ لِنَافِعِ بن جُبَيْرٍ: «أَلا تَشْهَد الجَنَازَةَ؟ قَالَ: كَمَا أَنْتَ حَتَّىٰ أَنْوِي. قَالَ: ففَكَّرَ هنية. ثُمَّ قَالَ: امْضِ»[٣].

---

(١) «جامع البيان» للطبري (٣ / ٧٠).

(٢) «شعب الإيمان» (٧٢٨٠).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (١ / ٧٠).

مَضَىٰ السَّلَفُ الأَبْرَارُ يَعْبَقُ ذِكْرُهُمْ
فَسِيروا كَمَا سَاروا عَلَىٰ البرِّ واصْنَعُوا

٧ - مُصَاحَبَةُ المُخْلصِينَ:

مُصَاحَبَةُ الصَّالحِينَ المُخْلصِينَ غَنِيمَةٌ؛ فإِنَّ الإِخْوَانَ إِنْ كَانُوا صَالحِينَ مُخْلِصِينَ فَهُمْ يُحِبُّونَ لِمَنْ يُصَاحِبُهُمْ أَنْ يَكونَ مِثْلَهُمْ؛ لأَنَّ ذَلكَ مِنْ كَمَالِ الدِّينِ، زِدْ عَلَىٰ ذَلكَ أَنَّ مَنْ جَالَسَ جَانَسَ.

وَلِهَذَا أَرْشَدَ النَّبيُّ - ﷺ - إِلَىٰ اخْتيَارِ الجَلِيسِ؛ لأَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْر، وإِنْ شَرًّا فَشَرّ.

فَعَنْ أَبي مُوسَىٰ الأَشْعَريِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالحِ، والجَلِيس**

السُّوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ ونَافِخِ الكِيرِ[١]**، فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ**[٢]**، وإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ**[٣]**، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، ونَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»**[٤].

فَهَذَا التَّشْبِيهُ العَظِيمُ مِنْ تَمَامِ حِرْصِه - ﷺ - عَلَىٰ أُمَّتِه بِتَوْجِيهِهَا إِلَىٰ الخَيْرِ، وَتَحْذِيرِهَا مِنَ الشَّرِّ.

قَالَ الحَافِظُ: «فَرَغَّبَ فِيه بِمُجَالَسَةِ مَنْ يَنْتَفِعُ بِمُجَالَسَتِه فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، ونَهَىٰ عَنْ مُجَالَسَةِ مَنْ يُتَأَذَّىٰ بِمُجَالَسَتِه فِيهِمَا»[٥].

---

(١) الكير - بالكسر - : زِقٌّ يَنْفُخُ فيه الحَدَّاد.
(٢) يحْذِيكَ: يُعْطِيكَ.
(٣) تَبْتَاعَ مِنْهُ: تَطْلُبُ البَيْعَ مِنْهُ.
(٤) رواه البخاريُّ (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).
(٥) «الفتح» (٤ / ٣٨٠).

صحبتُكُمْ فَازْدَدْتُ نوراً وبَهْجَةً
وَمَنْ يَصْحَبِ الطيبَ المُعَطَّرَ يَعْبَقُ(١)

والصَّالِحونَ المُخْلِصونَ مَنْ تُذَكِّرُ باللهِ رؤياتهم.

فَعَنِ ابْنِ عَبَاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «**أَوْلِيَاءُ اللهِ هُمُ الَّذينَ يُذْكَرُ اللهُ لِرُؤْيَتِهِمْ**»(٢).

وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يَلْتَمِسُونَ عِلاجَ قُلُوبِهِمْ بِمُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ والنَّظَرِ إِلَيْهِمْ.

قَالَ جَعْفَرُ بن سُلَيمان - رَحِمَهُ اللهُ -: «كُنْتُ إذا وَجَدْتُ مِنْ قَلْبي قَسْوَةً، غَدَوْتُ فَنَظَرْتُ إِلَىٰ وَجْهِ مُحَمَّد ابن وَاسِع، كَانَ كَأَنَّهُ ثَكْلَىٰ»(٣).

---

(١) عَبِقَ الطيب: أي لَزِقَ وَلَصِقَ به.
(٢) حَسَنٌ، أخرجه ابن المبارك في الزُّهْد، وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصحيحة» (١٦٤٦).
(٣) «السير» (٦/ ١٢٠).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بن المُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللهُ - : «إِذَا نَظَرْتُ إِلَىٰ الفضيلِ بْنِ عِيَاضٍ جَدَّدَ لي الحُزْنَ وَمَقَتُّ نَفْسي. ثُمَّ بَكَىٰ»[1].

٨ - الزُّهْدُ في الرِّيَاسَةِ :

الرِّيَاسَةُ بَلاءٌ عَظِيمٌ يُبْتَلَىٰ بهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، ومَنْ أَحَبَّ الرِّيَاسَةَ فلابُدَّ أَنْ يُرائيَ النَّاسَ، ويَتَزَيَّنَ لَهُمْ بأَعْمَاله؛ ليُعَظِّمُوهُ فيَرْتَفعُ بأَعْيُنِهِمْ، وَهذَا بَابٌ غَامضٌ لا يُبْصِرُهُ إلاَّ البَصِيرُ مِنَ العُلَمَاءِ، وَمَنْ أَرَادَ السَّلامَةَ مِنَ الرِّيَاءِ فَلْيَزْهَدْ في الرِّيَاسَةِ وَيَتْرُكُهَا لأَهْلِهَا.

وَهُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ حُبِّ الرِّيَاسَةِ وحُبِّ الإِمَارَةِ لأَجْلِ الدَّعْوَةِ؛ فَحُبُّ الرِّيَاسَةِ مَذْمُومٌ، وحُبُّ الإِمَارَةِ لأَجْلِ الدَّعْوَةِ مَحْمُودٌ، إِذَا كَانَ المُحِبُّ أَهْلاً لِذَلِكَ.

---

(١) «السير» (٨/ ٤٣٨).

قَالَ الإمَامُ ابنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ - : « الفَرْقُ بَيْنَ حُبِّ الرِّئَاسَةِ، وحُبِّ الإمَارَةِ للدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ هُوَ الفَرْقُ بَيْنَ تَعْظِيمِ أَمْرِ اللهِ والنُّصْحِ لَهُ، وَتَعْظِيمِ النَّفْسِ والسَّعْيِ في حَظِّهَا؛ فإِنَّ النَّاصِحَ للهِ المُعَظِّمَ لَهُ، المُحبَّ لَهُ يُحبُّ أَنْ يُطَاعَ رَبُّهُ فلا يُعْصَىٰ، وأَنْ يكُونَ العبَادُ ممتَثلينَ أَوَامرَهُ مُجْتَنبينَ نَوَاهيَهُ، فَقَدْ نَاصَحَ اللهَ في عُبُوديَّته، ونَاصَحَ خَلْقَهُ في الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ؛ فَهُوَ يُحبُّ الإمَامَةَ في الدِّينِ، بَلْ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ للمُتَّقينَ إِمَامًا يَقْتَدي به المُتَّقُونَ، كَمَا اقْتَدَىٰ هُوَ بالمُتَّقينَ؛ فإِذَا أَحَبَّ هَذا العَبْدُ الدَّاعي إلىٰ اللهِ أَنْ يَكُونَ في أَعْيُنِهِمْ جَليلاً، وفي قُلُوبِهِمْ مَهِيبًا، وإِليهم حَبيبًا؛ لكي يأْتَمُّوا به ويَقْتَفُوا أَثَرَ الرَّسول عَلَىٰ يَدِهِ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلكَ، بَلْ يُحْمَدُ عَلَيْهِ؛ لأَنَّهُ داعٍ إِلَىٰ اللهِ يُحبُّ أَنْ يُطَاعَ ويُعْبَدَ ويُوَحَّدَ . . . وهذا بخلاف طَلَبِ الرِّئَاسَةِ، فإِنَّ طُلابَها يَسْعَوْنَ في تَحْصيلِهَا؛ لينالوا بها

أَغْـرَاضَـهُـمْ مِنَ العُلُوِّ في الأَرْضِ، وتُعَـبُّـدُ القُلُوب لَـهُمْ، ومَيلها إِلَيْهِمْ، ومُسَاعَدَتها لهمْ عَلَىٰ جَميعِ أَغْرَاضِهِمْ، مَعَ كَوْنِهِمْ عَالين عَلَيْهِمْ قَاهِرِينَ لَهُمْ، فَتَرَتَّبَ عَلَىٰ هَذا المطْلوب مِنَ المَفَاسِد مَا لا يَعْلَمُهُ إلاَّ الله، مِنَ البَغْيِ والحَسَدِ والطُّغْيَانِ والحِقْد والظُّلْمِ والفِتْنَة...»[١].

٩ - تَرْكُ الإعْجَاب بالنَّفْسِ:

الإعْـجَـابُ بالنَّفْسِ دَاءٌ دَفِينٌ وخَطَرٌ عَظِيمٌ يَنْتُجُ عَنْهُ اسْتِعْظَامُ العَمَلِ وكَأَنَّ المُعْجَبَ يَمُنُّ عَلَىٰ الله بعَمَله، ونَسِيَ المِسْكِينُ أَنَّ الَّذي وَفَّقَهُ للطَّاعَة هُوَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧)** ﴾ [الحُجُرَات: ١٧].

---

(١) «الروح» لابن القيم (٦٢٤ - ٦٢٥).

فَلْيَحْذَرِ المَرْءُ مِنَ العجبِ؛ فإِنَّهُ لَهُوَ الهَلاكُ بِعَيْنِه.

فَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**ثلاثٌ مُنْجِيَاتٌ: خَشْيَةُ اللهِ في السِّرِّ والعَلانِيَةِ، والعَدْلُ في الرِّضَاءِ والغَضَبِ، والقَصْدُ في الفَقْرِ والغِنَىٰ، وثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ: هَوىً مُتَّبَعٌ، وشُحٌّ مُطَاعٌ، وإِعْجَابُ المَرْءِ بنَفْسِه**»(١).

قَالَ الإِمَامُ ابنُ الجَوْزِيِّ - رحِمَهُ اللهُ - وَاصِفًا مَنِ ابْتُلِيَ بِهَذَا الدَّاءِ: «لا يَكَادُ أَحَدهم يُوقِنُ أَنَّهُ وَلِيٌّ مَحْبوب وَمَقْبُول!، ورُبَّمَا تَوَالَتْ عَلَيْهِ أَلْطَافٌ ظَنَّها كَرَامَات، ونَسِيَ الاسْتِدْرَاجِ الَّذي لَفَّتْ مَسَاكِنَهُ، ورُبَّمَا احْتَقَرَ غَيْرَهُ، وَظَنَّ أَنَّ تَحِلَّتَهُ مَحْفُوظَةٌ بهِ!! تَغُرُّهُ رُكَيعَاتٍ يَنْتَصِب فيها أَو عِبَادة يَنْصب بها!.

---

(١) حَسَنٌ، أَخْرَجَهُ البزارْ (٨٠)، وحَسَّنَهُ الألْبَانيُّ في «الصحيحة» (١٨٠٢).

وَرُبَّمَا ظَنَّ أَنَّهُ قطب الأَرْضِ! وإِنَّهُ لا يَنَالُ مَقَامَهُ بَعْدَهُ أَحَدٌ، فَالله الله في مُسَاكَنَةِ مَسْكَنٍ، ومُخَالَفَةِ مَقَامٍ . . . وَلْيَكُنْ المُتَيَقِّظْ علَىٰ انْزِعَاجِ مُحْتَقِرًا للكَثِيرِ مِنْ طَاعَاتِه، خَائفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ تَقَلُّبَاتِهِ ونُفُوذِ الأَقْدَارِ فيه.

فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَتَلَمَّحْ نفسك وعَيْبَكَ ونَقْصك تضربُ عُنُقَ العُجْبِ وتُذْهِبُ كِبْرَ[1] الكِبْرِ»[2].

١٠ - الابتعادُ عَنِ الطَّمَعِ فيما عِنْدَ النَّاسِ:

لا يَتَحَقَّقِ الإِخْلاصُ إلاَّ بكراهِيَةِ المَدْحِ والثَّنَاءِ، والزُّهْدِ في الدُّنْيا والإعْرَاضِ عَنِ الطَّمَعِ فيمَا عِنْدَ النّاسِ.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ - : «لا يَجْتَمِعُ الإِخْلاصُ في القَلْبِ وَمَحَبَّةُ المَدْحِ والثَّنَاءِ والطَّمَعُ فيما عِنْدَ النَّاسِ،

---

(١) كِبْر الكِبْر: عظمه وجلّه.
(٢) «صيد الخاطر» لابن الجوزي (٢٤٧ - ٢٤٩).

إلاَّ كَـمَـا يَجْـتَـمِعُ المَاءُ والنَّارُ، والضَّبُّ والحُـوتُ، إذَا حَـدَّثَتْكَ نَفْسُكَ بطَلَبِ الإِخْلاصِ، فَأَقْبِلْ عَلَىٰ الطَمَعِ أَوَّلاً فَـاذْبَحْـهُ بِسكِّينِ اليَـأْسِ، وأَقْبِلْ عَلَىٰ المَدْحِ والثَّنَاءِ فَازْهَدْ فِيهِمَا زُهْدَ عُشَّاقِ الدُّنْيا في الآخِرَةِ، فإذا اسْتَقَامَ لَكَ ذَبْحُ الطَّمَعِ والزُّهْدُ في الثَّنَاءِ والمَدْحِ، سَـهُلَ عَلَيْكَ الإِخْلاصُ»[١].

١١ - الزُّهْدُ في مَدْحِ النَّاسِ:

مَدْحُ النَّاسِ لَكَ وإِعْجَابُهُمْ بِكَ، لا يَجْلِبَانِ نَفْعًا، ولا يَدْفَعَانِ عَنْكَ ضُـرًّا، بَلْ يَجْلِبَانِ سُخْطَهُمْ، وتِلْكَ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ.

فَعَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللهِ - ﷺ - قَالَ: سَمِعْتُ

---

(١) «الفوائد» (١٩٥).

رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرائي اللهُ بِه**»(١).

قَالَ الخَطَّابِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي شَرْحِهِ لِهَذا الحَدِيث: «يَقُولُ: مَنْ عَمِلَ عَمَلاً عَلَىٰ غَيْرِ إِخْلاصٍ، وإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ، ويَسْمَعُوهُ؛ جُوزِيَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِأَنْ يُشَهِّرَهُ اللهُ ويَفْضَحَهُ، فيشيدوا عَلَيْهِ [أيْ فَيُشْهِروا بِهِ] ما كَانَ يُبْطِنَهُ مِنْ ذَلِكَ»(٢).

وَقَالَ الحَافِظُ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقِيلَ مَنْ قَصَدَ بِعَمَلِه الجَاهَ عِنْدَ النَّاسِ، وَلَمْ يُرِدْ بِهِ وَجْهَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ يَجْعَلُهُ حَدِيثًا عِنْدَ النَّاسِ الَّذِينَ أَرادَ نيلَ المَنْزِلَةِ عِنْدَهُمْ، ولا ثَوَابَ لَهُ فِي الآخِرَةِ»(٣).

---

(١) رواه البُخاريُّ (٦٤٩٩).

(٢) «أعلام الحديث» للخطابيّ (٣/٢٥٥٧).

(٣) «الفتح» (١١/٣٤٤).

أخي، وقَدْ علِمْتَ مَا في مُرَاءَاةِ النَّاسِ مِنَ الخُطُورَةِ، والحازِمُ مَنْ لا يُبَالي بِمَدْحِ النَّاسِ وذَمِّهِمْ؛ لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حُبَّ مَدْحِ النَّاسِ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أسْبَابِ الرِّيَاءِ، ولا أَحَدَ مَدحهُ زين وذَمّه شين مِنَ الله.

فَعَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ - رضي الله عنه - في قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ** ④﴾ [الحُجُرَات: ٤].

قَالَ: قَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إنَّ حَمْدي زين، وإنَّ ذمِّي شين. فقَالَ النَّبيُّ - ﷺ -: «**ذَاكَ اللهُ - عزَّ وجَلّ**»(١).

قَالَ ابنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ - في شَرْحِهِ للحَدِيث:

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (١٥٥٦١)، والترمذيُّ (٣٤٩٧)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترمذيّ» (٢٦٠٥).

«فَازْهَدْ في مَدْحِ مَنْ لا يُزِينُكَ مَدْحُهُ، وفي ذَمِّ مَنْ لا يشينُكَ ذَمُّهُ، وارْغَبْ في مَدْحِ مَنْ كُلُّ الزَّيْنِ في مدْحِهِ، وكُلُّ الشَّيْنِ في ذَمِّهِ، ولَنْ يَقْدِرَ عَلَىٰ ذَلِكَ إلاَّ بالصَّبْرِ واليَقِينِ، فَمَتَىٰ فَقَدْتَ الصَّبْرَ واليَقينَ كُنْتَ كَمَنْ أرادَ السَّفَرَ في البَحْرِ بِغَيْرِ مَرْكَبٍ.

قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ** (٦٠) ﴾ [الروم: ٦٠].

وقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** (٢٤) ﴾ [السجدة: ٢٤][1].

---

(١) « فوائد الفوائد » لابن القيّم (٤٢٢)، ترتيب وتعْليق علي بن حسن الحلبي.

١٢ - الفَرْقُ بَيْنَ المَدْحِ وحُبُّ المَدْحِ:

هُنَاكَ فَرْقٌ دقيقٌ بَيْنَ المَدْحِ وحُبُّ المَدْحِ.

فالأَوَّلُ لَيْسَ لَهُ صِلَةٌ أَصْلاً.

وأَمَّا الثَّاني هو الآفَـةُ الَّتي لا ينْجـو مِنْهـا إلاَّ أقلّ القليل.

قَال ابنُ القَيِّم - رَحِمَهُ اللهُ - مُفَرِّقًا بَيْنَ (التَّحَدُّثِ بنِعَمِ اللهِ)، و(الفَخرِ بِهَا):

«المُتَحَدِّثُ بالنِّعْمَةِ مُخْبِرٌ عَنْ صِفَاتِ وليِّها، ومَحْضِ جودهِ وإِحْسَانِه، فَهُوَ مُثْنٍ عَلَيْه بإِظْهَارِهَا، والتَّحَدُّثُ بهَا؛ شَاكِرًا لَهُ، نَاشِرًا لجميع ما أولاه؛ مَقْصُودُهُ بذَلكَ إظْهَار صِفَاتِ اللهِ، ومَدْحِهِ، والثَّنَاءِ علَيْه، وبَعْثِ النَّفْسِ عَلَىٰ الطَّلَبِ مِنْهُ دُونَ غَيْرِهِ، وعَلَىٰ صُحْبَتِهِ ورَجَائِهِ،

فَيَكُونُ رَاغِبًا إِلَىٰ اللهِ بِإِظْهَارِ نِعَمِهِ، وَنَشْرِهَا، والتَّحَدُّثُ بِهَا.

وأَمَّا الفَخْرُ بالنِّعَمِ: فَهُوَ أَنْ يَسْتَطِيلَ بِهَا علَىٰ النَّاسِ، ويُرِيَهُمْ أَنَّهُ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَكْبَر؛ فيَرْكَب أَعْنَاقَهُمْ، ويَسْتَعْبِدَ قُلُوبَهُمْ، ويَسْتَمِيلُهَا إِلَيْه بالتَّعْظِيم والخِدْمَة؛ قَالَ النُّعْمَانُ ابنُ بَشِيرٍ - رضي الله عنهما - : إِنَّ للشَّيْطَانِ مَعَالِيَ وفُخوخًا، وأَنَّ مَصَاليه وفُخُوخَهُ البَطَرُ بنعمَةِ اللهِ، واتِّبَاع الهَوَىٰ في ذَاتِ اللهِ»[1].

١٣ - حبّ ذكر الله :

المُؤْمِنُ يَقْنَعُ بِذِكْرِ اللهِ عَنْ ذِكْرِ النَّاسِ، وَأَيْنَ ذِكْرُ النَّاسِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ.

(١) «الروح» لابن القيم (٣٦٨).

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [البقرة: ١٥٢] .

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ - ﷺ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ : «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذْ ذَكَرَنِي ؛ فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(١) .

١٤ - الفِرارُ مِنْ ذَمِّ اللهِ :

مِنْ أَسْبَابِ الرِّيَاءِ الفِرَارُ مِنْ ذَمِّ النَّاسِ، وَأَيْنَ ذَمُّ النَّاسِ مِنْ ذَمِّ اللهِ، وهَلْ عَاقِلٌ يَرْضَىٰ أَنْ تَنْحَطَّ بِهِ نَفْسُهُ إِلَىٰ هَذِهِ

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧٥) .

الدَّرَجَة ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾

[البقرة: ٦١].

فَلا أَحَدٌ مَدْحُهُ زين وذَمُّهُ شينٌ مِنَ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - .

فَعَنِ البَراء بن عازِبٍ - ﷺ - في قَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ** ﴾ [الحجرات: ٤].

قَالَ: قَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ حَمْدِي زينٌ، وإِنَّ ذَمِّي شينٌ؛ فَقَالَ النَّبيُّ - ﷺ -: «**ذاكَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ -**»[1].

١٥ - أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ مُطَّلِعٌ عَلَى القُلُوب:

ففي حَديثِ أَبي هُرَيْرَةَ - ﷺ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (١٥٥٦١)، والترمذيُّ (٣٤٩٧)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الترمذي» (٢٦٠٥).

- ﷺ - : «**إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَامِكُمْ، ولا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١) .

فَإِذا عَلِمَ العَبْدُ أَنَّ اللهَ يَنْظُرُ إِلَىٰ قَلْبِهِ، رَاقَبَهُ في إِخْلاصِهِ، وجَاهَدَ نَفْسَهُ مُجَاهَدَةَ السَّابِحِ في النَّهْرِ الجَارِي، وَرَاضَهَا رِيَاضَةَ الأَسَدِ؛ حَتَّىٰ تَسْتَقِيمَ لَهُ، وَتَسْلَمَ لَهُ قِيَادَهَا، فلا يَبْقَىٰ في قَلْبِهِ شَائِبَةٌ مِنْ رِيَاءٍ.

١٦ - أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَكَفَّلَ بِالسَّعَادَةِ لِمَنْ أَخْلَصَ عَمَلَهُ للهِ:

فَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ - ﷺ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ في قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ**

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

كَانَتْ الدُّنْيا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ في عَيْنَيْه، وفَرَّقَ عَلَيْه شَمْلَهُ، ولَمْ يأْته مِنَ الدُّنْيا إلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ» (١).

١٧ - الدُّعاء :

الدُّعَاءُ سَبَبٌ عَظِيمٌ لِنَيْلِ الإِخْلاصِ، والمُسْلِمُ دَعْوَتُهُ مُسْتَجَابَةٌ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ بالدُّعَاءِ وَوَعَدَ بالإِجَابَة.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَال: «**مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ، لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ ولا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إلاَّ أَعْطَاهُ بها إِحْدَىٰ ثلاث خِصَالٍ: إِمَّا يُعَجِّلَ**

---

(١) صحيح، أخرجه ابن ماجه (٤١٠٥)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٩٥٠).

لَهُ دَعْوَتَهُ، أَوْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الخَيْرِ مِثْلَهَا، أَوْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهَا».

قَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا نُكْثِرْ.

قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ**»[١].

وَقَدْ عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ كَيْفَ نَتَّقِي الرِّيَاءَ بِالدُّعَاءِ، فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! اتَّقوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**».

---

(١) صحيح، رواه أحمد في «المسند» وصححه الحاكم والذهبيُّ، ووافقهُمَا الألبانيُّ، انظُرْ «شرح العقيدة الطحاويّة» بتحقيق (٦٥٦)، وقَدْ رَوَاهُ التّرمذيُّ (٣٦٠٤) من حَديثِ أبي هُرَيْرَةَ، إلاَّ أنَّهُ قَالَ في الخَصْلة الثَّالثَة: «وإما أنْ يُكَفَّرَ عَنْهُ منْ ذُنُوبه بقَدْرِ ما دَعَاهُ»، وهُوَ مُنكر بهذا اللَّفْظ، قَالَهُ الألبانيُّ، وقَدْ خَرَّجَهُ في «الضعيفة» (٤٤٨٣)، وذَكَرَ تَحْتَهُ مَا صَحَّ منه كَحَديثِ أبي سعيد هذَا.

فَقَالَ لهُ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ : وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وهُوَ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟! .

قَالَ : «**قُولوا : اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ ، ونَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا نَعْلَمْ**»[١] .

فادعو ربَّكَ ، واجْتَهِدْ في الدُّعَاءِ ؛ فإنَّهُ – سُبْحَانَهُ – حَيِيٌّ كَرِيمٌ لا يُخَيِّبُ مَنْ دَعَاهُ .

فَعَنْ سلْمَان الفَارِسيِّ – رضي الله عنه – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – : «**إنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحيِي مِنْ عَبْدِه إذا رَفَعَ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**[٢] »[٣] .

---

(١) حسن، أخرجه أحمد (١٩٦٠٦)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٣٧٣١).

(٢) صفراً : أي فارغة.

(٣) صحيح، رواه أبو داود (١٤٨٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٥٧).

وَأَفْنِيَـــةُ المُلوكِ مُـــحَـــجَّـــبَـــاتٌ

وبَابُ اللهِ مَـــــبْـــــذُولُ الفِـنَـاءِ

فَـمَـا أَرْجُـو سِـوَاهُ لِكَـشْفِ ضُـرِّي

وَلاَ أَفْـــزَعُ إِلَىٰ غَـــيْـــرِ الدُّعَـــاءِ

ولا أَدْعُـــو إِلَىٰ اللأْوَاءِ[1] لَـهْـفًـا

سِـــوَىٰ مَنْ لا يَصُـمُّ عَنِ الدُّعَـــاءِ

---

(١) اللأواء: الشّدة والمحنة.

فضائلُ الإخْلاص في الأعْمَالِ

١ - الإخْلاصُ في التَّوْحيدِ:

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «**مَا قَالَ عَبْدٌ: لا إلَهَ إلاَّ الله قَطُّ مُخْلِصًا إلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُفْضي إلى الْعَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**»[١].

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَل - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «**مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ وَهِيَ تَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله، وأنِّي رَسُولُ الله، يَرْجِعُ ذَلِكَ إلى قَلْبِ مُؤْمِنٍ إلاَّ غَفَرَ الله لَهُ**»[٢].

---

(١) حسنٌ، أخرجَهُ الترمذيُّ (٣٨٤٢)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «المشكاة» (٢٣١٤).

(٢) حسن، رواه أحمد (٥/ ٢٢٩)، وابن ماجه (٢/ ٤١٩)، وابن حبان (٥).

وعَنْ عِتْبَان بن مالك الأنصاري - رضي الله عنه - قَالَ: غَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: **«لَنْ يُوافي عَبْدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ يَقُولُ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَبْتَغي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ»**(١).

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتي مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أو نَفْسِهِ»**(٢).

فَانْظُرْ - أخي - إِلَىٰ عَمَلٍ يسيرٍ وأَجْرٍ عَظِيمٍ، كَلِمَة خَالِصة أَوْجَبَتْ لِصَاحِبِهَا الجَنَّةَ، والمُوَفَّقُ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابنُ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللهُ -: «والنَّوْعُ الواحدُ مِنَ العَمَلِ قَدْ يَفْعَلُهُ الإنسانُ عَلَىٰ وَجْهٍ يَكْمُلُ فيهِ إِخْلاصُهُ وعبوديّتُهُ للهِ، فيَغْفِرُ اللهُ بِهِ كَبَائِرَ كَمَا في

(١) رواه البخاري (٦٤٢٣).

(٢) رواه البخاري (١٩٣).

حَديث البطَاقَة . . فَهَذه حَالُ مَنْ قَالَهَا بإخْلاص وصدْق، كَمَا قَالَهَا هَذا الشَّخْصُ، وإلاَّ فأَهْلُ الكَبَائر الَّذين دَخلوا النَّارَ كُلُّهم يَقولونَ كلمَةَ التَّوْحيد، ولم يتَرَجَّحْ قَوْلُهُمْ عَلَىٰ سَيِّئَاتهِمْ ما تَرَجَّحَ قَوْلُ صاحب البطَاقَة»(١).

٢ - الإخْلاصُ في الصَّلاة :

عَنْ عُقْبَة بن عَامر - رضي الله عنه - قَالَ: سَمعْتُ رَسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «**مَا منْكُمْ منْ أحَد يَتَوَضَّأُ، فيُحْسنُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فيَرْكَعُ رَكْعَتَيْن، يُقْبلُ عَلَيْهمَا بقَلْبه وَوَجْهه، إلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّة، وغُفرَ لَهُ**»(٢).

وَعَنْ عَمْرو بنُ عَبَسَةَ السُّلَميُّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «**مَا منْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وُضُوءَهُ**

(١) «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» (٦/٢١٨).

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (٤/١٥٣)، وأبو داود (١٦٩)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٥٨٠٢).

فَيَتَمَضْمَضُ ويَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وفِيهِ وخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إذا غسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَىٰ المِرْفَقَيْنِ إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَىٰ الكَعْبَيْنِ إلاَّ خَرّتْ خَطَايا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ المَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّىٰ، فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ومَجَّدَهُ بالّذي هُوَ أَهْلٌ، وفَرَّغَ قَلْبَهُ للهِ، إلاَّ انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[١].

أَرَأَيْتَ - أخي - فَضْلَ الإِخْلاصِ في الصَّلاةِ، ففي الحديث الأوَّل وجَبَتْ لَهُ الجنَّة، وغُفِرَ لَهُ بإِخْلاصِه، وفي الحَديث الثَّاني انْصَرَفَ مِنْ خَطيئَتِه كَهَيْئَتِه يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، ففي ذَلِكَ دَليلٌ عَلَىٰ أَهَمِّيَّةِ أَعْمَالِ القُلُوب،

(١) رواه مسلم (٨٣٢).

والإِخْلاصُ رَأْسُ ذَلِكَ، وأَعْمَالُ القُلُوبِ أَعْظَمُ مِنْ أَعْمَالِ الجَوَارِحِ لا يُنازِعُ في ذَلِكَ أَحَدٌ.

قَالَ ابنُ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - في أَعْمَالِ القُلُوبِ: «هيَ مِنْ أُصُولِ الإِيمان، وَقَوَاعِدِ الدِّين، مثل مَحَبَّةِ الله ورَسُوله، والتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ، وإِخْلاصِ الدِّينِ لله، والشُّكْرِ لَهُ، والصَّبْرِ عَلَىٰ حُكْمِه، والخَوْفِ مِنْهُ، والرَّجَاءُ لَهُ.. وهَذه الأَعْمَالُ جَميعُها وَاجِبَةٌ عَلَىٰ جَمِيعِ الخَلْقِ باتِّفَاقِ أَئمَّةِ الدِّين»(١).

وَقَالَ ابْنُ القَيِّم - رَحِمَهُ اللهُ -: «أَعْمَالُ القُلُوبِ هيَ الأَصْلُ، وأَعْمَالُ الجوارِحِ تَبَعٌ ومُكَمِّلَةٌ، وإِنَّ النِّيَةَ بمَنْزِلَةِ الرُّوحِ، والعَمَلَ بمَنْزِلَةِ الجَسَدِ للأَعْضَاءِ الَّذي إِذَا فَارَقَ الرُّوحَ فمَوَات، فمَعْرِفَةُ أَحْكَامِ القُلُوبِ أَهَمُّ مِنْ مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الجَوَارِحِ»(٢).

---

(١) «الفتاوىٰ» (١٠/٥).

(٢) «بدع الفوائد» (٣/٢٢٤).

وَقَالَ - أَيْضًا - : « ومَنْ تَأَمَّلَ الشَّرِيعَةَ في مَصَادِرِهَا ومَوَارِدِهَا، عَلِمَ ارْتِبَاط أَعْمَالِ الجَوَارِحِ بأَعْمَالِ القُلُوبِ، وأَنَّها لا تَنْفَعُ بدُونِهَا، وأَنَّ أَعْمَالَ القُلُوبِ أَفْرَضُ عَلَىٰ العَبْدِ منْ أَعْمَالِ الجَوارِحِ، وهَلْ يُمَيَّزُ المُؤْمِنُ عَنِ المُنَافِقِ إلاَّ بمَا في قَلْبِ كُلِّ وَاحِدٍ منَ الأَعْمَالِ التَّي مَيَّزَتْ بَيْنَهُمَا؟، وعُبُودِيَّةُ القَلْبِ أَعْظَمُ منْ عُبُودِيَّةِ الجَوَارِحِ، وأَكْثَرُ وأَدْوَمُ، فَهِيَ وَاجِبَةٌ في كُلِّ وَقْتٍ »[1].

٣ - الإِخْلاص في القَوْلِ مِثل قَوْلِ المؤذِنِ لِمَنْ سَمِعَه:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب - ﷺ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ - : **«إذا قَالَ المُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ الله، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ الله، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، ثُمَّ**

---

(١) المرجع السابق (٣ / ٣٣٠).

قَالَ : حَيَّ عَلَىٰ الصَّلاةِ ، قَالَ : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ ، ثُمَّ قَالَ : حَيَّ عَلَىٰ الفَلاحِ ، قَالَ : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ، قَالَ : اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ، ثُمَّ قَال : لا إلَهَ إلاَّ اللهُ ، قال : لا إلَهَ إلاَّ اللهُ ، مِنْ قَلْبِه دَخَلَ الجَنَّةَ»[١] .

فالشَّاهِدُ قَوْلُهُ - ﷺ - : «**مِنْ قَلْبِهِ**» أي: خَالِصًا مِنْ قَلْبِه .

٤ - الإخْلاصُ في الخُروجِ للصَّلاةِ وانْتِظارِها في المسجِدِ:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : **«صَلاَةُ الرَّجُلِ في الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَىٰ صَلاتِه في بَيْتِه وفي سُوقِه خَمْسًا وعِشْرِينَ ضِعْفًا ؛ وذَلكَ أَنَّهُ إذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ، ثُمَّ خَرَجَ إلَىٰ المَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إلاَّ الصَّلاةُ ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ ، وَحُطَّ**

---

(١) رواه مسلم (٣٨٥) .

عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فإذا صَلَّىٰ لَمْ تَزَلِ المَلائكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَادامَ في مُصَلاَّهُ: اللَّهُمَّ صَلِّي عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، ولا يَزَالُ أَحَدُكُمْ في صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ»(١).

والشَّاهِدُ هُو قَوْلُهُ - ﷺ - : «لا يُخْرِجُهُ إلاَّ الصَّلاةُ» فَلَيْسَ لَهُ نِيَّةٌ غَيْرَها.

٥ - الإخْلاصُ في بِنَاءِ المسَاجِدِ:

عَنْ عُثْمَانَ بن عَفَّان - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «مَنْ بَنَىٰ مَسْجِداً يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ، بَنَىٰ اللهُ لَهُ مِثْلَهُ في الجَنَّةِ»(٢).

قَالَ المناويُّ - رَحِمَهُ اللهُ - : «يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ» أي: يَطْلُبُ بِهِ رِضَاهُ، وهو بِمَعْنَىٰ حديث الطَّبَرَانِيِّ لا يُرِيدُ بِهِ رِيَاءً ولا سُمْعَةً، وأيًّا ما كَانَ فالمُرادُ الإخْلاصُ، وَقَدْ شَدَّدَ

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧).
(٢) رواه البخاريُّ (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٢).

الأئمةُ في تَحْرِيمِهِ، حَتَّىٰ قَالَ ابنُ الجَوْزِيُّ: مَنْ كَتَبَ اسْمَهُ عَلَىٰ مَسْجِدٍ بَنَاهُ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الإخْلاصِ وقَوْل بَعْض الشُّرَّاحِ، ومَعْنَىٰ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله يَطْلُبُ بِهِ ذَاتَ اللهِ، فَإِنْ بَنَاهُ بِقَصْدِ الفَوْزِ بالجَنَّة والنَّجَاة مِنَ النَّارِ لا يَقْدَحُ في إِخْلاصِ البانِي، وابْتِغاء وَجْهَ الله أَمْرٌ زَائِدٌ هُوَ أَعْلَىٰ وَأَجَلّ مِنْ ذَلِكَ»[١].

٦ - الإخْلاصُ في الإنْفَاقِ:

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥)﴾ [البقرة: ٢٦٥].

قَالَ السَّعديّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «فأمَّا الأوَّلُ، فإنَّهُ لما

(١) «فيض القدير» (٦/ ٩٦).

كَانَتْ نَفَقَتُهُ مَقْبُولَةً مُضَاعَفَةً؛ لصُدُورِهَا عَنِ الإيمانِ والإِخْلاصِ التَّامِ ﴿ **ابْتغاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ أي: يُنْفِقُونَ، وَهُمْ ثَابِتُونَ عَلَىٰ وَجْهِ السَّمَاحَةِ والصِّدْقِ، فَمِثْلُ هَذَا العَمَلِ ﴿ **كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ** ﴾ ، وهُوَ المَكَانُ المُرْتَفِعُ؛ لأَنَّهُ يَتَبَيَّنُ للرِّيَاحِ والشَّمْسِ، والمَاءُ فيه غزيرٌ.

فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا ذَلك الوابلُ الغَزِيرُ، حَصَلَ طَلٌّ كَافٍ؛ لطِيبِ مَنْبَتِها، وحُسْنِ أَرْضِهَا، وَحُصُولِ جَميعِ الأَسْبَابِ المُوَفِّرَةِ لنمُوِّهَا وازْدِهَارِهَا وإِثْمَارِهَا؛ ولَهذا ﴿ **فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ** ﴾ ، أي: مُتَضَاعِفًا»[1].

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ - ﷺ - عَنِ النَّبيِّ - ﷺ -: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ - تعَالَىٰ - في ظِلِّه يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ**..» وَذَكَرَ مِنْهُمْ: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا**؛

---

(١) «تفسير السّعدي» (٩٥).

حتَّىٰ لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ»(١).

وَعَنْ أَبي أُمَامَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**صَنَائِعُ المُعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ في الْعُمُرِ**»(٢).

قَالَ المناويُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «والسِّرُّ مَا لم يطّلعْ عَلَيْه إلاَّ الحقّ - تَعَالَىٰ -؛ وذَلِكَ لأنَّ إِسْرارَهُ دَلِيلُ إخْلاصِهِ لمُشَاهَدَةِ رَبِّه، وهي دَرَجَةُ الإحْسَانِ، وفي القُرآن: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ [الأعْرَاف: ٥٦]، فَنُورُ الإخْلاصِ ورَحْمَةُ الإحْسَانِ أَطْفَأَ نَارَ الغَضَبِ»(٣).

---

(١) رواه البخاريُّ (١٤٢٣).

(٢) حسن، رواه الطبرانيُّ في «الكبير» (٨٠١٤)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٣٧٩٧).

(٣) «فيض القدير» (٤/ ٢٠٦ - ٢٠٧).

٧ - الإخْلاصُ في الصِّيام :

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ومَا تَأَخَّرَ**»[١].

ومَعْنَىٰ «**احتِسَابًا**» أي: إرادَةَ وَجْهِ اللهِ، لا لشَيْءٍ آخر.

والصَّوْمُ - أخي في اللهِ - هُوَ العِبَادَةُ الوَحِيدَةُ الَّتي لا يَدْخُلُهَا الرِّيَاءُ - كَمَا قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ - ؛ لأنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - نَسَبَ الصَّوْمَ إِلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ دُونِ بَقِيَّةِ العِبَادَات، هَذَا بالنِّسْبَةِ لأَعْمَالِ القُلُوب لَكِنْ مَتَىٰ أَخْبَرَ الإنْسانُ عَنْ صَوْمِهِ بلِسَانِهِ يُرِيدُ بذَلكَ الرِّيَاءَ؛ فَقَدْ ضَيَّعَ أَجْرَهُ، ولَحَقَهُ الإِثْمُ مَا مِنْ ذَلكَ بُدٌّ.

فَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يُخْفُونَ صِيَامَهُمْ عَنِ الخَلْقِ؛ فَهَذَا

---

(١) رواه البخاريُّ (٣٨).

الإمامُ الزَّاهِدُ دَاودُ بنُ أبي هِنْدٍ يَصُومُ أَرْبَعِينَ سَنَةً لا يَعْلَمُ بذَلِكَ أَهْلُهُ ولا أَحَدٌ، وكَانَ خَزَّازًا، يَحْمِلُ غَدَاءَهُ مِنْ عِنْدَهُمْ، فَيَتَصَدَّقُ بِهِ في الطَّرِيقِ، ويَرْجِعُ عَشِيًّا، فَيُفْطِرُ مَعَهُمْ(١).

وهَذَا الإمامُ أبُو مَحْفُوظ مَعْرُوف الكرخيّ: سُئِلَ: كَيْفَ تَصُومَ؟ فَغَالَطَ السَّائِلَ، وقَالَ: صَوْمُ نَبِيِّنَا ـ ﷺ ـ كَانَ كَذَا وكَذَا، وَصَوْمُ دَاود كَذَا وكَذَا. فأَلَحَّ عَلَيْهِ(٢)،

---

(١) «صِفَةُ الصَّفْوَة» (٣ / ٣٠٠).

(٢) يَحسنُ عَدَمَ سُؤال المرء عَنْ صيامه، أو أي عبادة كَانت؛ حتَّىٰ لا يُعينَ عليه الشيطان؛ قَالَ إبراهِيمُ بن أدْهَم ـ كمَا في «حَديث الإِخْلاص» للعفَّاني (٢٤٧، ٢٤٨) ـ : «لا تَسْأَلْ أخَاكَ عَنْ صِيَامِهِ، فإنْ قَالَ: أنا صَائمٌ فرحتْ نفسه بذلك، وإن قَالَ: أنا غير صائمٍ حزنَتْ نَفْسُهُ، وكليهما من علامات الرِّياءِ، وفي ذلك فضيحة للمسئول واطِّلاع علَىٰ عوراته من السائل».

وكان إبراهيم ـ رحمه الله ـ : «إذا دُعي إلىٰ طعام وهو صائم أكل ولم يقل إني صائم».

فقَالَ: أُصبحُ دَهْرِي صَائمًا، فَمَنْ دَعَاني أَكَلْتُ، وَلَمْ أَقُلْ إِنِّي صائمٌ»(١).

٨ - الإخْلاصُ في قيامِ رَمَضان:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - : أَنَّ رَسُـولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قَـال: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٢).

ومَعْنَىٰ إيمانًا واحْتِسَابًا: أي تَصْديقًا وإِخْلاصًا.

٩ - الإخْلاصُ في قيَامِ لَيْلَةِ القَدْرِ:

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَـالَ: «**مَـنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٣).

(١) «تاريخ بغداد» (١٣/٢٥٢)، و«السِّير» (٩/٣٤١).
(٢) رواه البخاريُّ (٢٠٠٩).
(٣) رواه البخاريُّ (٢٠١٤).

وَهُنَا – أخِي – تَجد التَّأكيد علَى لَيْلَة القَدْرِ مَعَ أَنَّها مِنْ رَمَضَان، ممَّا يَدُلُّ عَلَى شَرَفِهَا وفَضَائلهَا الجَمَّة، ولا ينَالُ خَيْرَهَا إلاَّ مَنْ قَامَهَا تَصْدِيقًا بوَعْدِ الله ورَجَاءَ ثَوابِه.

١٠ - الإخْلاصُ في الحَجِّ:

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ: «**مَنْ حَجَّ لله فَلَمْ يرْفُثْ، ولَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(١).

قَوْلُهُ: «**مَنْ حَجَّ لله**» أي: أَخْلَصَ حجَّهُ لله وَحْدَهُ، واجْتَنَبَ الرَّفَثَ الَّذي هُوَ الجِمَاعُ، والفِسْق الَّذي هُوَ الخُروج عَنِ الطَّاعَة، فَهذَا خَليقٌ أنْ يَرْجعَ مِن حَجِّه بغَيْر ذَنْبٍ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، بِمَا في ذَلِكَ صَغَائر الذُّنُوب وكبارها وتِلْكَ بِشَارةٌ عَظِيمَةٌ.

(١) رواه البُخاريُّ (١٥٢١).

وَعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: «**اللَّهُمَّ حَجَّةً لا رِيَاءَ فيها ولا سُمْعَةَ**»[١].

فَهذَا – أَخي في اللهِ – حبيبك – صلى الله عليه وسلم – يَدْعو رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَ حَجَّهُ خَالِصًا، لا رِيَاءَ فيها ولا سُمْعَةً، وهُوَ الأُسْوَةُ الحَسَنَة؛ فراقِبْ نيَّتَكَ؛ فإِنَّ المُحرمينَ بالحَجِّ كَثيرٌ، وَلَكِنِ الحَاجُّ قَليلٌ.

خَليلي قُطَّاعُ الفيَافي إِلَىٰ الحِمَىٰ
كَثِيرٌ وأَمَّا الوَاصِلُونَ قَليلُ

١١ – الإِخْلاصُ في الجِهَادِ:

عَنْ أَبي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ – رضي الله عنه – أَنَّ رَجُلاً أَعْرَابيًّا أَتَىٰ النَّبيَّ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ

(١) صحيح، أخرجهُ الترمذيُّ (٢٨٩٠)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٢٦١٧).

لِلْمَغْنَمِ، والرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، والرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَىٰ مَكَانُهُ، فَمَنْ في سَبيلِ الله؟. فقَالَ رَسُولُ الله - ﷺ - : «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله أَعْلَىٰ فَهُوَ في سَبيلِ الله**»(١).

قَالَ المُناويُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «يُفْهَمُ أَنَّ مَنْ قَاتَلَ للدُّنْيا وللغَنيمَةِ أو لإظْهَارِ نحو شجَاعَةٍ فَلَيْسَ في سبيلِ الله، ولا ثَوَابَ لَهُ، نَعَمْ مَنْ قَاتَلَ للجنَّة، ولَمْ يَخْطُرْ ببَاله إعْلاءُ كَلمَةَ الله فَهُوَ كالمُقَاتلِ للإعْلاء إذْ مَرْجِعُهُمَا هُوَ رضا الله، ورِضَا الله وَاحِد»(٢).

١٢ - الإخْلاصُ في طَلَبِ العِلْمِ :

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ - : «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ به وَجْه الله**(٣)**، لا**

(١) رواه البخاريُّ (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤) واللفظ له.
(٢) «فَيْضُ القَدير» (٦/١٨٨).
(٣) قَوْلُهُ: «مما يبْتغي به وجه الله» أي: العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، وما سوىٰ ذلك من العلوم فهي غير داخلة في هذا الوعيد.

يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ[١] **يَوْمَ القِيَامَةِ»**[٢].

وَعَنْ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ، أو لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ**»[٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ**»[٤].

---

(١) عُرف الجنَّة: أي ريحها.

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (٣٦٦٤)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٦١٥٩).

(٣) حسنٌ، أخرجَهُ الترمذيُّ (٢٦٥٤)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٦٣٨٣)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه.

(٤) صحيح، رواه الترمذيُّ (٢٧٩٧)، وقَالَ الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجه» (٢٢٥).

قَالَ المناويُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «مَا مِنْ خَارِجٍ مِنْ بَيْتِهِ في طَلَبِ العلْمِ» أي الشَّرْعِيِّ يَقْصِد التَّقَرُّب إِلَىٰ اللهِ»(١)(٢).

---

(١) «فيْض القدير» (٥/٤٧٨).

(٢) فائدة: قَالَ الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - كما في كتابه «القول المفيد» باب من الشِّرْكِ إرادة الإنسان بعمله الدنيا (٢/٢٤٤، ٢٤٥): «تنبيه: هَلْ يَدْخُلُ فيه مَنْ يَتَعَلَّمُونَ في الكُلّيَات أو غيْرها، يُريدون الشهادة أو مرتبةً بتعلُّمهِمْ؟

الجواب: أنهم يدخلون في ذلك إذا لم يُريدوا غرضًا شرعيًّا، فنقول لهم: **أولاً** - لا تقصدوا بذلك المرتبة الدنيوية، بل اتّخذوا هذه الشهادات وسيلةً للعَمَلِ في الحُقُول النَّافعَة للخَلْق؛ لأنَّ الأَعْمَالَ في الوَقْت الحَاضر مَبْنيَّةٌ عَلَىٰ الشهَادَات، والنَّاسُ لا يستطيعون الوصول إِلَىٰ مَنْفَعَة الخَلْق إلاَّ بهذه الوسيلة، وبذلك تكون النِّيَّة سليمة.

ثانيًا - أنَّ مَنْ أَرادَ العلْمَ لذَاته قَدْ لا يجده إلاَّ في الكُلّيات، فيدخلُ الكليَّة أو نحوها لهذا الغرض، وأمَّا بالنسبَة للمرْتَبة فإنّها لا تهمه.

ثالثًا - أنَّ الإنسان إذا أراد بعمله الحُسنَيَيْن: حُسْنُ الدُّنيا والآخرة، فلا شيء عليه؛ لأنَّ اللهَ يقولُ: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا (٢) ويرْزُقْهُ من حيْثُ لا يحْتسبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، فرَغَّبه في التقوىٰ بذكر المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب، فإنْ قيل: =

١٣- الإخْلاصُ في الموالاةِ في اللهِ:

عَنْ أَبي أُمَامَةَ – رضي الله عنه – أَنَّ النَّبيَّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ للهِ، وأَبْغَضَ للهِ، وأَعْطَىٰ للهِ، ومَنَعَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمان**»(١).

١٤ – الإخْلاصُ في الحُبِّ في اللهِ:

عَنْ عبادةَ بن الصَّامتِ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: «**قَالَ اللهُ – تَعَالَىٰ – : حقَّتْ مَحبَّتِي للمُتَحَابّينَ**

= مَنْ أَرادَ بعمَلِه الدُّنْيا كيفَ يُقالُ أنَّهُ مُخْلِصٌ مَعَ أنَّهُ أرادَ المَالَ مثلاً؟
أجيب: إنه أَخلص العبادة ولم يُرِدْ بها الخلْقَ إطلاقًا، فَلَمْ يقصد مُراءَاة الناس ومدحهم، بل قصد أمرًا ماديًا، فإخْلاصه ليس كاملاً؛ لأنَّ فيه شركًا، ولكن ليس كشركِ الرِّياءِ يُريدُ أنْ يُمدَحَ بالتَّقرُّبِ إِلَىٰ اللهِ، وهذا لم يُرِدْ مدح الناس بذلك، بل أراد شيئًا دنيئًا غيره.
ولا مانع أن يدعو الإنسانُ في صلاته ويطلبُ أنْ يرزقَهُ اللهُ المالَ، ولكن لا يُصلي من أجل هذا الشيء، هذه مرتبة دنيئة» اهـ.

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٦٨١)، وصحّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٣٨٠).

فيَّ، وحقَّتْ مَحَبَّتي للمتواصلينَ فيَّ، وحُقَّتْ مَحَبَّتي للمُتَنَاصحينَ فيَّ، وحُقَّتْ مَحَبَّتي للمُتَزاوِرينَ فيَّ، وحُقَّتْ مَحَبَّتي للمُتَبَاذلينَ فيَّ، المُتحابُّونَ فيَّ علَىٰ مَنابرَ منْ نُورٍ يَغْبطُهُمْ النَّبيُّونَ والصِّدِّيقونَ والشُّهَدَاءُ»(١).

١٥ - الإخْلاصُ في الصَّبْرِ:

قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ – : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) ﴾ [الرعد: ٢٢].

١٦- الإخْلاصُ في التَّوَاضُعِ:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ – ﷺ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ»(٢).

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٣٢٧٥)، وصحّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٢٥٣٩).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨).

١٧ - الإخْلاصُ في الدَّيْنِ :

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أداءَهَا أَدَّىٰ اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إتْلافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**»[١].

قَالَ الشَّيْخُ السَّعْدِيّ - رَحِمَهُ اللهُ - : «فانْظُرْ كَيْفَ جَعَلَ النِّيَّةَ الصَّالِحَةَ سَبَبًا قَوِيًّا للرِّزْقِ، وأداءِ اللهِ عنْهُ، وَجَعَلَ النِّيَّةَ السَّيِّئَةَ سَبَبًا للتَّلَفِ والإتْلافِ»[٢].

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٢٣٨٧).
(٢) «بهجة قلوب الأبرار وقُرَّة عيون الأخبار» (١٥).

مِنْ فوائدِ الإخْلاص

للإخْلاصِ فَوائدُ لا يُدْرِكُهَا إلاَّ الواحِدُ بَعْدَ الواحِدِ، فَمِنْ تِلْكَ الفَوَائدُ:

١ - حُصُولُ الأجْرِ العَظِيم عَلَى العَمَلِ اليسيرِ:

فَعَنِ البَرَاءِ بن عَازِبٍ - رضي الله عنه - قَالَ: جاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّبيت - قبيل منَ الأنْصَارِ - فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ، وأَنَّكَ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ، فَقَالَ النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم - : «**عَمِلَ هَذَا يَسِيراً وأُجِرَ كَثِيراً**»[١].

وعَنْ جرير بن عَبْد الله - رضي الله عنه - أنَّ رَجُلاً جَاءَ، فَدَخَلَ في الإسْلام، فكَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يُعَلِّمُهُ

---

(١) رواهُ البُخاريُّ (٢٨٠٨)، ومُسْلمُ (١٩٠٠)، واللفظ له.

الإسْلامَ، وهُوَ في مَسيرِه، فَدَخَلَ خُفُّ بَعيرِه في جُحْرِ يَرْبُوعٍ فَوَقَصَهُ بَعيرُهُ فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : «عَمِلَ قَليلاً وأُجِرَ كَثيرًا»[١].

٢ - أنَّ النِّيَّةَ تُحَوِّلُ المُبَاحَ إلَى عِبَادَةٍ:

فَعَنْ أبي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : «**إذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَىٰ أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ**»[٢].

وَعَنْ سَعدِ بْنِ أَبي وَقَّاصٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغي بِهَا وَجْهَ اللهِ إلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلَ في فِيِّ امْرَأَتِكَ**»[٣].

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٤/ ٣٥٧).
(٢) رواه البخاريُّ (٥٥)، ومُسْلمُ (١٠٠٢).
(٣) رواه البخاريُّ (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨).

٣ - أنَّ النِّيَّةَ تَجْعَلُ الهَمَّ والعَمَلَ وَاحِدًا:

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - عَنْ رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم - فِيمَا يروي عَنْ رَبِّه قَالَ: «**إنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - كَتَبَ الحَسَنَات والسَّيِّئَات، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلك فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**»[١].

وَعَنْ أَبي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيّ - رضي الله عنه - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «**إنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَة نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقي فيه رَبَّهُ، ويَصِلُ فيه رَحِمَهُ، ويَعْلَمُ لله فيه حَقًّا، فَهَذَا بأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يرْزُقْهُ مَالاً فهُوَ صَادقُ النِّيَّة يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لي مَالاً لعَملتُ فيه بعَمَلِ فُلان، فَهُوَ بنيَّته فأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبطُ في مَاله بغَيْرِ عِلْمٍ، ولا يَتَّقي فيه رَبَّهُ ولا يَصِلُ فيه رَحِمَهُ، ولا**

(١) رواه البُخاريّ (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

يَعْلَمُ لله فيه حَقًا فَهُوَ بأَخْبَث المَنَازِل، وعَبْد لَمْ يرْزُقْهُ اللهُ مَالاً ولا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أنَّ لي مَالاً لَعَمِلْتُ فيه بعَمَلِ فُلان، فَهُوَ بنيَّته فوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ».

٤ - أَنَّ النِّيَّةَ أَبْلَغُ مِنَ العَمَلِ[١]:

أَنَّ النِّيَّةَ أَبْلَغُ مِنَ العَمَلِ، وأَعْظَمُ أَجْرًا؛ فَقَدْ يُحَدِّثُ المَرْءُ نَفْسَهُ بالعَمَلِ، ثُمَّ يَقِفُ في طَرِيقه عَائقٌ مِنْ عُذْرٍ أَوْ غَيْرِه، فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ ثَوابَ ذَلِكَ العَمَلِ، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ -: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِه مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِه ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾

[النِّسَاء: ١٠٠].

---

(١) وَرَدَ ذَلِكَ في حديثٍ مَوْضوع: «نيَّةُ المؤمن خيرٌ من عمله» رواه القضاعيّ في «مسند الشهاب» (٤ / ٢)، وقَالَ الألْبانيُّ في «الضعيفة»: موضوع (٢٧٨٩). ولَكِنِ المَعْنَىٰ صحيح، ويعْني: نية المؤمن منفردة عن العمل خيرٌ من عملٍ خَالٍ عَنِ النِّيَّة كما قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ليس فيها ليلة القدر» كذا في «شرح السُّنَّة» (٢ / ١٧٩).

وَعَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ – رضي الله عنه – قَالَ: رَجعنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكٍ مَعَ النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: **«إنَّ قَوْمًا خَلْفَنَا بالمَدينَة ما سَلَكْنَا شعبًا ولا واديًا إلاَّ وَهُمْ مَعَنَا حَبَسَهُمُ العُذْرُ»**(١).

قَالَ النَّوَوِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ –: «وفي هَذَا الحَديث فَضيلَةُ النِّيَّة في الخَيْر، وأَنَّ مَنْ نَوَىٰ الغَزْوَ وغَيْرَهُ مِنَ الطَّاعَات فَعَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مَنَعَهُ، حَصَلَ لَهُ ثَوَابُ نيَّته، وأَنَّهُ كُلَّمَا أَكْثَرَ مِنَ التَّأَسُّف عَلَىٰ فَوَات ذَلكَ وَتَمَنَّىٰ كَوْنَهُ مَعَ الغُزَاة وَنَحْوهِمْ، كَثرَ ثَوَابُهُ، واللهُ أَعْلَمُ»(٢).

وَعَنْ سَهْلِ بن حَنيفٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: **«مَنْ سَأَلَ اللهُ الشَّهَادَةَ بصدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنازِلَ الشُّهَدَاء وإنْ مَاتَ عَلَىٰ فرَاشه»**(٣).

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذيُّ (٢٣٢٧)، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترمذيّ» (١٨٩٤).

(٢) «شرح النَّوَويّ عَلَىٰ مسْلم» (١٣/ ٥٧).

(٣) رواه مسلم (١٩٠٩).

وَلَمَّا تَجَهَّزَ عَبْدُ اللهِ بن ثابت - رضي الله عنه - للغَزْوِ مَعَ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَمَاتَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَىٰ قَدْرِ نِيَّتِه»**[١].

وكَذَلِكَ مَنْ نَوَىٰ قِيَامَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَهُ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ.

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«مَنْ أَتَىٰ فِرَاشَهُ، وهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، حَتَّىٰ أَصْبَحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَىٰ، وكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّه»**[٢].

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٥/٤٦٦)، وأبو داود (٢٦٦٨)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٧٩١).

(٢) حسنٌ، أخرجه النَسائي (١٦٨٤)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٥٦٩١)، و«الإرواء» (٢/٢٠٥).

٥ - أنَّ النِّيَّةَ سَبَبٌ للنَّجَاةِ مِنْ فِتَنِ الشَّهَوَاتِ:

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - في شَأْنِ يُوسُفَ: ﴿ **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** (٢٤) ﴾ [يوسُف : ٢٤].

فَقَدْ كَانَتْ نَجَاةُ يُوسُفَ - عليه السلام - بإخْلاصِه.

قَالَ شَيْخُ الإسْلام - رَحِمَهُ اللهُ - : « فَاللهُ يَصْرِفُ عَنْ عَبْدِهِ مَا يَسُوؤُهُ مِنَ المَيْلِ إِلَىٰ الصُّوَرِ والتَّعَلُّقِ بِهَا، ويَصْرِفُ عَنْهُ الفَحْشَاءَ بإخْلاصِهِ للهِ.

ولِهَذا يكونُ قَبْلَ أَنْ يَذُوقَ حَلاوَةَ العُبُودِيَّةِ للهِ والإخْلاصَ لَهُ، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَنِ اتِّبَاعِ هَوَاهَا، فإذا ذَاقَ طَعْمَ الإخْلاصِ وقَوِيَ في قَلْبِهِ، انْقَهَرَ لَهُ هَوَاهَا بلا علاج »[١].

---

(١) « شرح العبودية لشيخ الإسلام » لعبد العزيز الراجحي (٨٦).

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - : « وَإِذَا كَانَ العَبْدُ مُخْلصًا للهِ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ، فأَحْيا قَلْبَهُ، واجْتَذَبَهُ إِلَيْه، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُ مَا يُضادّ ذَلكَ منَ السُّوءِ والفَحْشَاءِ، ويَخَافُ منْ حُصُولِ ضدّ ذَلكَ، بخلاف القَلْبِ الَّذي لَم يُخْلصْ للهِ، فإنَّ فيه طَلَبًا وحُبًّا مُطْلَقًا، فَيَهْوَىٰ كُلَّ ما يَسْنَحُ لَهُ، ويَتَشَبّث بمَا يَهْوَاهُ، كالغُصْنِ، أيُّ نَسيمٍ مَرَّ به عَطَفَهُ وأَمَالَهُ، فَتَارَةً تَجْتَذبُهُ الصُّورُ المُحرَّمَةُ، وغَيْرُ المُحَرَّمَة؛ فَيَبْقَىٰ أَسيرًا عَبْدًا لِمَنْ لَو اتَّخَذَهُ هُوَ عَبْدًا لَهُ لكَانَ ذَلكَ عَيْبًا ونَقْصًا وذَمًّا »[١].

وَقَالَ ابنُ القَيِّم - رَحِمَهُ اللهُ -: « وَمَحَبَّةُ الصُّوَرِ المُحَرَّمَة وعشْقُهَا منْ مُوجبَات الشِّرْك، وكُلَّمَا كَانَ العَبْدُ أَقْرَبَ إِلَىٰ الشِّرْك، وأَبْعَدَ منَ الإِخْلاص كَانَتْ مَحبَّتُهُ بعشْقِ الصُّوَرِ أَشَدّ.

---

(١) المرجع السابق (١٤٠).

وكُلَّمَا كَانَ أَكْثرَ إِخْلاصًا، وأَشَدُّ تَوْحيدًا كانَ أَبْعَدَ مِنْ عشْقِ الصُّوَرِ.

ولِهَـذَا أَصَـابَ امْـرَأَةَ العـزيزِ مَـا أَصـابَهـا مِنَ العـشْقِ؛ لِشرْكِهَا، ونَجَا مِنْهُ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ -عليه السلام- بإِخْلاصِه.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (٢٤) ﴾

[يوسُف : ٢٤].

فـالسُّوءُ: العـشْقُ، والفَـحْشَـاءُ: الزِّنَا. فَـالْمُخْلصُ قَـدْ خَلُصَ حُـبُّـهُ لله، فَـخَلَّصَـهُ اللهُ مِنْ فِـتْنَـة عـشْقِ الصُّـوَرِ، والْمُشْـرِكُ قَلْبُـهُ مُتَـعَلِّقٌ بِغَـيْـرِ اللهِ، فَلَمْ يُخْلِصْ تَوْحِيـدَهُ، وحُبَّهُ لله - عَزَّ وَجَلَّ - »[١].

---

(١) «إغاثَةُ اللَّهْفَان» (٥١٣).

إنَّ اللهَ نَجَّـانِي مِنَ الحُبِّ لَمْ أَعُـدْ
إلَيْـهِ وَلَمْ أَقْـبَلْ مَـقَـالَةَ عـاذِلي
ومَنْ لي بمَنْجَاةٍ مِنَ الحُبِّ بَعْدَمَا
رَمَتْنِي دَوَاعِيَ الحُبِّ بَيْنَ الحَبَائِلِ(١)

٦ - النَّصْرُ عَلَى الأَعْدَاءِ :

وَمِنْ فَوَائِدِ الإِخْلاصِ - أَيْضًا - أَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - جَعَلَهُ سَبَبًا في القُوَّةِ عَلَىٰ الأَعْدَاءِ مِنَ الكُفَّارِ، وسَبَبًا مُوجبًا لنصْرَةِ دِينِهِ وعِزَّةَ المُسْلِمِينَ.

قَالَ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** (١٨) ﴾ [الفَتْح : ١٨].

---

(١) «روضة المحبّين» (٢٠١).

قَالَ الشَّنْقِيطي - رَحِمَهُ اللهُ - : « فبَيَّنَ أَنَّهُ عَلِمَ مِنْ قُلُوبِ عِبَادِهِ الإِخْلاصَ كما ينبغي، وكَانَ مِنْ نَتَائِجِ ذلِكَ الإِخْلاص أَنْ يَقْهَروا، ويَغْلِبوا مَنْ هُوَ أَقْوَىٰ مِنْهُمْ؛ ولِذَا لَمَّا عَلِمَ - جَلَّ وَعَلا - مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوانِ الإِخْلاصَ كَمَا يَنْبَغِي، ونَوَّهَ بِإِخْلاصِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ **فعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾

وبَيَّنَ - سُبْحَانَهُ - أنَّ مِنْ نَتَائِجِ الإِخْلاصِ: أَنَّهُ - تَعَالَىٰ - يَجْعَلُهُمْ قَادِرِينَ عَلَىٰ مَا لَمْ يَقْدِروا عَلَيْه، كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **وأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا** ﴾ [الفتح: ٢١]، فصَرَّحَ بأَنَّهُمْ غَيْرُ قادِرِينَ عَلَيْهَا، وأَنَّهُ أَحَاطَ بِهَا، وجَعَلَهَا غَنِيمَةً لَهُمْ؛ لِمَا عَلِمَ مِنْ إِخْلاصِهِمْ »[1].

---

(١) « الإسلام دينٌ كامل » (٤٩).

٧ - مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ :

الإِخْلاصُ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - : «**أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا في يَوْمٍ حَارٍّ يَطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ العَطَشِ؛ فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا؛ فَغُفِرَ لَهَا**»[١].

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - : «فَهَذِهِ سَقَتِ الكَلْبَ بِإِيمَانٍ خَالِصٍ، كَانَ فِي قَلْبِهَا؛ فَغُفِرَ لَهَا، وإِلاَّ فَلَيْسَ كُلُّ بَغِيٍّ سَقَتْ كَلْبًا يُغْفَرُ لَهَا؛ فَالأَعْمَالُ تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ ما فِي القُلُوبِ مِنَ الإِيمَانِ والإِجْلالِ»[٢].

وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ - : «فَتَأَمَّلْ مَا قَامَ فِي قَلْبِهَا مِنْ حَقَائِقِ الإِيمَانِ والعُبُودِيَّةِ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمِنْهَا :

---

(١) رواهُ البُخاريُّ (٣٤٦٧)، ومُسْلمُ (٢٢٤٥).
(٢) «منهاج السُّنَّة» (٦/٢١٨).

١ - أنَّها لمْ تَعْمَلْهُ ابْتِغَاءَ الأَجْرِ مِنْ أَحَدٍ؛ لأَنَّها تُعْطي كَلْبًا؛ فلا تَنْتَظِرْ مِنْهُ جَزَاءً ولا شيئًا.

٢ - أنَّهُ لَمْ يَرَهَا أَحَدٌ، وهَذَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ الحَدِيثِ.

٣ - أنَّها أَتْعَبَتْ نَفْسَهَا في سِقَايَتِهَا لِهَذَا الكَلْبِ، فنَزَلَتْ في البِئْرِ مَعَ أنَّها امْرَأَة، ثُمَّ مَلَئَتْ خُفَّها بالماءِ وَحَمَلَتْهُ بِفِيهَا، ثُمَّ سَقَتْ هَذَا الكَلْبَ الحَقِيرَ.

فَتَأَمَّلْ مَا قَامَ في قَلْبِهَا مِنْ أَسْرَارِ الإِخْلاص، فَعِنْدَمَا تَمَّتْ هَذِهِ الحَقَائِقُ في قَلْبِهَا (أَحْرَقَتْ أَنْوَارُ هَذَا القَدْرِ مِنَ التَّوْحِيدِ مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا مِنَ البغاءِ والزِّنَا؛ فَغَفَرَ اللهُ لَهَا)[١].

---

(١) «مدارج السالكين» (١٨٨).

٨ - أَنَّهُ بِهِ تَكْمُلُ العُبُودِيَّةُ للهِ :

أَنَّ مِنْ فَوَائِدِ الإِخْلاصِ تَكْمِيلُ عُبُودِيَّةِ العَبْدِ؛ لأَنَّهُ كُلَّمَا قَبِلَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - لَهُ عَمَلٌ كُلَّمَا ارتَفَعَتْ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللهِ، وكَمُلَتْ عُبُودِيَّتَهُ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - : «وكُلَّمَا قَوِيَ إِخْلاصُ العَبْدِ كَمُلَتْ عُبُودِيَّتُهُ»(١).

٩ - أَنَّهُ سَبَبٌ لاستغناءِ القَلْبِ عَنِ النَّاسِ:

المُخْلِصُ الَّذي أَخْلَصَ عَمَلَهُ للهِ: قَدْ عَلَقَ قَلْبُهُ بِخَالِقِهِ، ورَازِقِهِ، غَيرُ طَالِبٍ لِعَمَلِهِ شَاهِدًا غَيْرَهُ، ولا مُجَازِيًا سُواهُ.

---

(١) «الفتاوى» (١٠/ ١٩٨).

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) ﴾

[الشعراء : ١٠٩] .

قَالَ شَيْخُ الإِسْلام ابنُ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - : « ولَنْ يَسْتَغْنِي القَلْبُ عَنْ جَمِيعِ المَخْلُوقَات إلاَّ بأَنْ يَكُونَ اللهُ هُوَ مَوْلاهُ الَّذي لا يَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ، ولا يَسْتَغْنِي إلاَّ بِهِ، ولا يُحِبُّ إلاَّ لَهُ، ولا يُبْغِضُ إلاَّ لَهُ »[١] .

١٠ - أنَّهُ سَبَبٌ لإجَابَةِ الدُّعَاءِ:

وَمِنْ فَوَائِد الإِخْلاص أَنَّ المُؤْمِنَ يَتَوَسَّلُ بخُلُوصِ عَمَلِهِ في وَقْتٍ هُوَ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ للفَرَجِ .

فَعَنْ عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنْ رَسُول اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنَّهُ قَالَ : « **بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ** ،

(١) المرجع السَّابق (١٠ / ١٩٨) .

فآووْا إلَىٰ غارٍ في جبَلٍ، فانْحطَّتْ علَىٰ فَمِ غارِهِمْ صخْرَةٌ منَ الجبَلِ، فانْطَبقتْ علَيْهِمْ، فقالَ بعْضُهُمْ لبعْضٍ: انْظُروا أعْمالاً عملْتُموها صالحَةً للهِ، فادْعُوا اللهَ بِهَا، لعلَّ اللهَ يفْرُجُها عنْكُمْ.

فقالَ أحدُهُمْ: اللَّهُمَّ، إنَّهُ كانَ لي والدَان شيْخَان كَبيرَان، وامْرَأتي، ولي صِبْيَةٌ صغَارٌ أرْعَىٰ علَيْهِمْ، فإذَا أرَحْتُ علَيْهِمْ، حلَبْتُ، فَبَدأْتُ بوالديَّ فسَقيْتُهُما قبْلَ بَنيَّ، وأنَّهُ نأي بي ذَاتَ يوْمٍ الشَّجرُ، فلَمْ آتِ حتَّىٰ أمْسَيْتُ، فوَجدْتُهُما قدْ ناما، فحلَبْتُ كما كُنْتُ أحْلُبُ، فجئْتُ بالحلاب، فقُمْتُ عنْدَ رؤوسهمَا، أكْرَهُ أنْ أُوقظَهُمَا منْ نوْمِهِمَا، وأكْرَهُ أنْ أسْقيَ الصِّبْيَةَ قبْلَهُمَا، والصِّبْيَةُ يتَضَاغونَ عنْدَ قدَميَّ، فلَمْ يزَلْ ذَلكَ دَأْبي ودَأْبَهُمْ حتَّىٰ طَلَعَ الفَجْرُ؛ فإنْ كُنْتَ تعْلَمُ أنِّي فعَلتُ ذَلكَ ابْتغاءَ وَجْهكَ، فافْرُجْ لنَا منْهَا فُرْجَةً، نرَىٰ منْهَا السَّمَاءَ.

ففرَجَ اللهُ منْهَا فُرْجَةً، فرأوا السَّمَاءَ.

وقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ، إنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، أحْبَبْتُهَا كأشَدِّ مَا يُحبُّ الرُّجُلُ منَ النِّسَاء، وطَلَبْتُ إلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأبَتْ حَتَّى آتيها بمائَة دينار، فتَعبْتُ حتَّى جَمَعْتُ مائَةَ دينارٍ، فَجئْتُهَا بهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بيْنَ رجْلَيْهَا قَالت: يا عَبْدَ الله! اتَّقِ اللهَ، ولا تَفْتحِ الخَاتَمَ إلاَّ بحَقِّه؛ فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإنْ كُنْتَ تعْلَمُ أنِّي فَعَلْتُ ذَلكَ ابْتغَاءَ وَجْهكَ، فَأفْرُجْ لَنَا منْهَا فُرْجَةً.

ففرَجَ لَهُمْ.

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ! إنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أجيرًا بفَرَق أرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ، فَعَرَضْتُ عليْه فَرَقَةُ فَرَغبَ عَنْهُ، فلَمْ أزَلْ أزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ منْهُ بَقَرًا ورِعَاءَهَا، فَجَاءَني فقَالَ: اتَّقِ اللهَ، ولا تَظْلمْني حَقِّي. قُلْتُ: اذْهَبْ

إِلَىٰ تلْكَ البَقَرِ ورعَائها، فَخُذْهَا، فقال: اتَّقِ اللهَ، ولا تَسْتَهْزِئ بي، فَقُلْتُ: إنِّي لا أستهزئُ بك، خُذْ ذَلكَ البَقَرَ ورعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ به. فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنِّي فَعَلْتُ ذَلكَ ابتغاءَ وَجْهِكَ، فافْرُجْ لَنَا ما بَقِيَ.

ففرج اللهُ ما بَقِيَ»[١].

١١ - أنَّهُ يُنجي العَبْدَ مِنَ النَّارِ:

الإخْلاصُ سَبَبٌ للنَّجَاة مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَة، دَلَّ عَلَىٰ ذَلكَ حَديثُ مُحمَّد بن الرَّبيع، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ - : **«فإنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ يَبْتَغي بذَلكَ وَجْهَ الله»**[٢].

قَالَ ابنُ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - : «فَإنَّ الإخْلاصَ يَنْفي أسْبَاب دُخُولِ النَّارِ، فَمَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنَ القَائلينَ لا إِلَهَ إلاَّ الله،

---

(١) رواه البُخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣)، واللفظُ لَهُ.

(٢) رَوَاهُ البُخَاريُّ (٤٢٥)، ومُسْلم (٣٣).

فإنَّ ذَلكَ دَليلٌ علَىٰ أنَّهُ لَمْ يُحَقِّقْ إخْلاصَهَا المحَرِّم له علَىٰ النَّارِ»[١].

١٢ - أنَّهُ سَببٌ لنَيْلِ شَفَاعَةِ النَّبيِّ - ﷺ -:

إنَّ صَاحِبَ الإخْلاصِ مِنْ أسْعَدِ النَّاسِ بشَفَاعَةِ النَّبيِّ - ﷺ - دَلَّ عَلَىٰ ذَلكَ حَديثُ أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قيلَ: يا رسولَ الله، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتكَ يَوْمَ القيامَةِ؟. قَالَ: **«أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي مَنْ قَالَ: لا إلَهَ إلاَّ اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِه»**[٢].

قَالَ شَيْخُ الإسْلامِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «فَبيَّنَ النَّبيُّ - ﷺ - أنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ يَوْمَ القِيامَةِ مَنْ كَانَ أعْظَمَ تَوْحيداً وإخْلاصاً»[٣].

---

(١) «الفتاوىٰ» (١٠/ ٢٦١).

(٢) رواه البخاريّ (٩٩).

(٣) «قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة» (١٠١).

فهرس


العصرية للطباعة
هاتف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠١٩٠٠٠٣٨٠